الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللّغة والأدب العربيّ

التّخصّص: أدب عربيّ حديث ومعاصر

تجلّيات الاغتراب في رواية "الوداع الأخير" لسمية غربي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطّالبتين:

- سمية سطايحي
- هديل مصطفى

إشراف الأستاذ(ة):

- صبرينة لقمان

لجنة المناقشة:

1-أ/ د غنية لوصيف	جامعة البويرة	رئيسا
2-أ/ صبرينة لقمان	جامعة البويرة	مشرفا ومقرّرا
3-أ/ سعيدة تومي	جامعة البويرة	مناقشا

السّنة الجامعيّة:

2025/2024

شكر و تقدير

نحمد الله حمدًا يليق بجلاله وعظيم نعمه الذي وفقنا وسدد خطانا و أضاء لنا دروب العلم والمعرفة حتى بلغنا هذا الجهد .

وما كان لنا أن نبلغ ما بلغنا لولا توفيق الله وعونه فله الحمد أولاً و آخرًا الذي غرس في قلوبنا حب العلم و الإيمان و ألهمنا الصواب ووفقنا وسدد خطانا لإنجاز هذا العمل المتواضع.

يسعدنا في هذا المقام أن نعبر عن بالغ امتناننا وتقديرنا لكل من أضاء لنا شمعة في درب العلم وترك فينا أثرًا لا يُنسى منذ خطواتنا الأولى في مقاعد الدراسة.

نتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى والدينا العزيزين لما قدماه لنا من دعم غير محدود وتحمل وصبر في مسيرتنا التعليمية فقد كان لهما الفضل بعد الله في إيصالنا إلى ما نحن عليه اليوم بما بذلاه من تضحيات و ما أظهراه من تفان وتشجيع في كل مراحل حياتنا الدراسية .

كما لا ننسى فضل الأستاذة المشرفة لقمان صبرينة التي كان لها دور محوري في إنجاز هذا العمل فقد كانت لنا موجّهة ناصحة ومرافقة أمينة لم تبخل علينا بعلمها الغزير ولا بتوجيهاتها الدقيقة فكان حضورها إضافة نوعية وصبرها ودعمها دافعاً للاستمرار والتقدّم .كما نثمن عالياً عطائها النبيل وجهودها المخلصة ونتوجه إليها بخالص الشكر وعظيم الامتنان على ما قدمته من وقت وجهد وعلى سعة صدرها في المتابعة و التصحيح والتوجيه سائلين الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها و أن يوفقها في مسيرتها العلمية و المهنية و يجزيها عنا خير الجزاء.

ولا يفوتنا أن نعبر عن بالغ امتناننا لأساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين كان لهم الفضل الكبير في توسيع آفاق معرفتنا وتعميق فهمنا للمجال بما قدموه من علم و توجيهات قيّمة خلال مشوارنا الجامعي لقد كانوا نبراساً نهتدي به و زادًا علمياً لا يُقدر بثمن .

إ هـد ا ء

إلى من قال أنني فخره و إن كنت أنا الفخورة بأنني ابنته إلى من لم يكن طريقه لي سهلا ولا أيامه لي راحه لكنه حمل كل التعب على كتفيه ليهديني طريقًا معبّدًا بالأمان إلى من كان الحلم لي والسند لي والقدوة الأولى في صبري و وقاري ورفعة طموحي.

إلى أبي تاج رأسي وسندي بعد الله إلى من زرع في قلبي الثبات وفي عقلي الحكمة وفي خطوتي الثقة إلى من كان دعاؤه دافعًا وصمته حكمة وحنانه درعًا إليك يا من أفتخر بك وأعتز بأنك أبي.

وإلى من كانت الجنة تحت قدميها ومن سبق قلبها يديها في احتضاني

إلى من كانت لي في ليالي التعب سر نهوضي وفي لحظات السقوط بصيص أملي

إلى أمي منبع الحب وملاذ الروح وعين الحنان.

إلى أخي الغالي و أخواتي العزيزات إلى من كانوا خلف ابتسامتي في التعب وأمام خطواتي في النجاح دعمكم كان طريقي إلى وضوح الرؤية وقوّتكم كانت قوتي.

وأخيرًا الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات وأسأله أن ينفعني بما علّمني ويجعل ما تعلمته حجة لي لا عليّ.

هـد يـل

إ هـد ا ء

إلى العزيز الّذي أحمل اسمه بكل فخر، وإلى من كلّله الله بالهيبة والوقار

إلى من دعمتني لآخر لحظة ولم تستسلم طيلة مسيرة دراستي

إلى من خاضوا الحياة لأجلنا ولأجل أن يرونا في هذا المكان "**والداي**" الّذين أكنّ لهم كل الحب والتقدير والامتنان على ما بذلوه من جهد معنا في سبيل العلم والمعرفة

وإلى **إخوتي** كل باسمه **وأبناء أختي**

وإلى كل من علمني حرف أهدي ثمرة جهدي هذه

مع تمنياتي لنفسي بالتوفيق في الحياة المهنية

كما أرجو أن يُشكّل هذا العمل إضافة مواضعة للبحث العلمي

وأسهم به في خدمة المعرفة

سمية

مقدمة

مقدمة

خلق الله الإنسان على وجه الأرض فعاش ضمن جماعات منسجمًا مع محيطه ومتفاعل معه ومتنقل بين الأمكنة بحثا عن الأمن والاستقرار، وهذا التّعايش لم يكن دائما سلس إذ واجه الإنسان وعبر العصور مشكلات متعدّدة ذات صلة بالآخرين وذاته، في خضم هذه المشكلات برزت ظاهرة الاغتراب.

ولأنّ الأدب بمثابة آلة تصوير لمشاكل المجتمع، والأديب مرآة عاكسة لمعاناة مجتمعه والتحوّلات التّي عصفت به جاءت الأجناس الأدبيّة، لتعكس بصدق وبعمق الصراعات الداخليّة والأزمات النّفسيّة، والأديب والروائي تحديدا كونه فرد من المجتمع وكونه مبدع استطاع نقل صور الاغتراب بأبعاده المختلفة بأسلوب فني ملفت، وفي هذا السياق **نجد** "**رواية الوداع الأخير لسميّة غربي**" الّتي تعتبر نصّا أدبيّا ونموذجا معاصرا، استطاعت من خلاله الروائية تحويل حالة الاغتراب من ظاهرة وتجربة إنسانيّة إلى مادة أدبيّة تلمس القارئ وتدعوه للتّأمل، وقد جاء اختيارنا لموضوع "**تجلّيات الاغتراب في رواية الوداع الأخير لسميّة غربي**" نظرا لأهميته الّتي تكمن في معالجة البحث لموضوع إنساني عميق وهو الاغتراب، وبالإضافة إلى محاولة هذا البحث الجمع بين التحليل الأدبيّ والنفسيّ، والاجتماعيّ، وأيضا تسليط الضوء على ظاهرة وتجربة إنسانيّة واقعيّة نعيشها ونعاني منها جميعا في مجتمعنا في ظلّ التطوّرات والتحوّلات السريعة الّتي يشهدها عالمنا في كلّ المجالات.

كان هدفنا من هذه الدراسة إبراز أهمية الأدب كمرآة للواقع، وتحليل ظاهرة الاغتراب الواردة في الرواية من خلال تتبع مظاهرها النّفسيّة والاجتماعيّة، مع الكشف عن الأدوات الفنيّة الّتي اعتمدتها الكاتبة لتمثيل حالات الاغتراب في هذا النص الروائي، كما كان التّشجيع على الدراسة البينيّة الّتي تربط الأدب بمختلف المجالات والعلوم، أحد أهدافنا قصد الإفادة والاستفادة منها في إطار العلوم الإنسانيّة.

وكان الدافع لاختيار هذا الموضوع حداثته وكونه غير مستهلك خاصة ما تعلّق بالرواية قيد الدراسة، وفيما يخص سبب اختيار "**رواية الوداع الأخير**" فراجع لحداثة الرواية وقربها من الواقع ما جعلها مادة خصبة للدراسة لما تحمله في طياتها لعديد التجارب المرتبطة بظاهرة الاغتراب بمختلف أبعادها.

عالجنا في دراستنا هذه الإشكالية الآتية: كيف تتناولت رواية "**الوداع الأخير**" ظاهرة الاغتراب كحالة اجتماعيّة ونفسيّة في سياق معاصر، وما انعكاساتها على الهوية والانتماء؟ وقد تفرعت عن هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية وهي: فيما تجلّت مظاهر الاغتراب في الرواية؟ وكيف ساهم البناء الفنيّ في إبراز هذه الظاهرة؟.

وفي إجابتنا على الإشكالية المطروحة سالفا اعتمدنا على الخطة الآتية ذكرها والمكونة من فصلين وخاتمة:

فصل أول نظري يحمل عنوان الاغتراب من منظور لغويّ و اصطلاحيّ تأصيل نظريّ ، وتطرقنا فيه إلى مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحا، وكذا أنواع الاغتراب وهي الاغتراب النّفسيّ، الاجتماعيّ، الّدينيّ، السّياسي، الزّمنيّ والمكانيّ، بالإضافة إلى مبحث الاغتراب في الأدب وكذا الاغتراب في الرواية العربيّة المعاصرة.

وفصل ثاني تطبيقي يحمل عنوان تمظهرات الاغتراب في البنية السردية ل رواية **الوداع الأخير** جاء فيه: ملخص للرواية، والعنوان كعتبة نصيّة ودلاليّة كمبحث أوّل، والشخصيات الرئيسية وعلاقتها بالاغتراب كمبحث ثاني، بالإضافة إلى عنصر الزمان والمكان كعاملين منتجين للشعور بالاغتراب، ومبحث رابع يحمل عنوان أدوات تشكيل الاغتراب في النص الروائي وقد تطرقنا فيه لكل من الراوي ووجهة النظر، الحبكة السردية، واللغة والأسلوب، وكمبحث سادس وأخير يحمل عنوان مظاهر الاغتراب، تناولنا فيه مظاهر الاغتراب النفسي الذاتي، الاجتماعي، والديني.

ومن الدّراسات السابقة المرتبطة بموضوع بحثنا، نجد أطروحة دكتوراه تحمل عنوان "**الاغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربيّة**" لصاحبتها "**أميرة علي الزهراني**"، ومن المقالات نذكر مقالا بعنوان " **الاغتراب**" لـ" **زليخة جديدي**".

وحتّى يكون العمل والبحث علميّا أكاديميّا يجب اتباع منهج معيّن، ومنه اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج البنيوي السردي كونه الأنسب لهذه الدراسة في تحليل لبنية الزمن و العنوان وأيضا في تحليل مظاهر الاغتراب في الرواية وتحليل الشخصيات والأحداث، بالإضافة إلى ذلك استعننا بالآليات النفسية والاجتماعية وهذا في تحليلنا للحالة النفسية للشخصيات وسياقها وخلفيتها الاجتماعية أيضا.

ومن المراجع المعتمدة في إنجاز هذا العمل:

- كتاب الاغتراب في الثّقافة العربيّة متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ل حليم بركات.
- كتاب دراسات في سيكولوجية الاغتراب ل عبد اللطيف محمد خليفة.
- كتاب الاغتراب في الشعر العربي ل أحمد علي الفلاحي.

وعادة ما يكون لكل بحث صعوبات، فالصعوبات الّتي شكلت لنا تحديّا في عملية إنجازنا لهذا العمل هي: صعوبة الحصول على المراجع بصيغة Pdf رغم وفرتها وهذا بسبب حقوق النشر، حجم الرواية الكبير إذ قارب عدد صفحاتها 400 صفحة، بالإضافة إلى تداخل هذه الظاهرة مع ميادين وعلوم أخرى، ما شكلّ لنا صعوبة في حصر هذه الظاهرة والإلمام بجميع جوانبها، كما لا يفوتنا أن نذكر ضيق الوقت الّذي كان ضدنا ومنعنا من حصر هذا الكمّ الكبير من المعلومات والمعارف في فترة زمنيّة قصيرة نوعا ما.

وفي الأخير ما يسعنا إلا أن نحمد الله عزّ وجلّ على توفيقه لنا في إتمام إنجاز هذا العمل المتواضع، كما لا ننسى الأستاذة صبرينة لقمان الّتي أشرفت على هذا البحث وإعانتها لنا بالنصح والتّوجيه في جوّ يسوده الاحترام، والشكر موصول أيضا لمن أشرف على مناقشة هذا البحث، وكل من ساهم في إنجازه.

الفصل الأول: الاغتراب من منظور لغويّ و اصطلاحيّ

تأصيل نظريّ.

أولا: تعريف الاغتراب.

ثانيا: أنواع الاغتراب.

ثالثا: الاغتراب في الأدب.

رابعا: الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة.

الفصل الأول: مقاربات تأسيسية.

حظي مفهوم الاغتراب باهتمام كبير من قبلّ المفكّرين والباحثين في العصر الحديث، وهذا الاهتمام المتأخّر نوعا ما بهذه الظاهرة يمكن إرجاعه إلى أنّها تعبّر عن أزمة الانسان المعاصر في ظل التحولّات والتطوّرات السريعة الّتي تهدّد المجتمع المعاصر، وسنحاول فيما يأتي تحديد وضبط مفهوم واحد لهذا المصطلح، الّذي يعتريه الكثير من الغموض نظرا إلى تداخله مع العديد من العلوم والميادين كعلم النفس، وعلم الاجتماع... السياسة والفلسفة.

_أولا: تعريف الاغتراب:

1 /لغة:

جاء في معجم لسان العرب أن الغَرْبَةُ وَالْغَرْبُ «النَّوَى وَالْبُعْدُ، وقَدْ تَغَرَّبَ، وَالتَّغْرِيْبُ: النَفْيُ عَنْ البَلَدْ، وَالْغُرْبَةُ وَالْغَرْبُ: النُزُوْحُ عَنْ الوَطَنْ وَالاغْتِرَابُ»[1]، حيث أنّ الاغتراب عنده هو الإبعاد عن مسقط الرأس، والمكان الذي اعتاد العيش فيه.

وفي السياق نفسه جاء في قاموس المحيط "**للفيروز أبادي**" في باب الباء، فصل الغين «النُزُوْحَ عَنْ الوَطَنْ كالغُرْبَة والاغْتِرَابْ والتَغَرُّب»[2]، أي أنّه ربط تعريف الاغتراب بالمكان كما نرى أن تعريف "**الفيروز آبادي**" هو نفسه الذي ذهب إليه "**ابن منظور**"، فهما يشتركان في معنى النزوح والابتعاد عن الوطن.

1- أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، معجم لسان العرب (مادة غرب) ، المجلد4، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994، ص3225.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (مادة غرب) ، القاموس المحيط،المجلد01، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر، دار الحديث، القاهرة مصر2005، ص1178.

كما ورد في معجم "**العين**" « والغُرْبَةُ: الاغْتِرابُ مِن الوَطَن. وغَرَبَ فُلانٌ عَنّا يَغْرُبُ غَرْبًا أَيْ تَنَحَّى، وَأَغْرَبَتْهُ وغَرَّبْتُه أَيْ نَحَّيْتُه. والغُرْبَةُ: النَّوَى البعيد، ويقال: شَقَّتْ بهم غُرْبَةُ النَّوَى»[1]، أي حصر بهذا التعريف الاغتراب في معنى الابتعاد عن الوطن والابتعاد عن الأهل لظروف معيّنة سواء بإرادته أو قسرًا.

كما جاء في معجم "**مختار الصحاح**" (مادة غرب) مشتق من الغربة وقد أخذت دلالات متعدّدة حيث جاء «تَغَرَبَ وَاِغْتَرَبَ بمعنى هو غَرِيْبٌ والجمع غُرَبَاء، وَالغُرَبَاءُ الأَبَاعِدُ، وَاِغْتَرَبَ فُلَانٌ إِذَا تَزَوَجَ اَلى غير أَقَارِبِهْ، والتَغْرِيْبُ: اَلنفْي عَن البَلَد، وأَغْرَبَ الرَجُلُ: جَاءَ بِشَيء غَرِيْب، اَغْرَب: صَار غَرِيْبًا»"[2]، نرى من خلال تعريف "**الجوهري**" أنّه لم يخرج في مفهومه عن تعريفات باقي اللُّغويين السابقين إذ اشترك معهم في معنى البعد والنزوح عن الوطن وأضاف إلى ذلك معنى الزواج من غير الأقارب، أي النكاح من غير الأقارب ومفارقة الأهل والأحبة والانعزال عنهم.

كما تبيّن وجود تداخل وتشابك بين مفهوم مصطلحي الغربة والاغتراب في أغلب التعريفات السابقة، ويعد هذا الأمر منطقي نظرا لاشتراكهما في الجذر اللّغوي (غَرَبَ)، ما نتج عنه اشتراك أيضا في معنى البعد والانفصال، حيث إنّ «هناك غربة ماديّة تتجلى في البعد عن الأهل والوطن، وغربة تتجلى في الخروج عن مبادئ الناس، وتقاليدهم وأعرافهم»[3]، فالغربة الأولى تتعلق بالمكان والنطاق الجغرافي، أي الابتعاد عن الأهل والوطن والمكان الذي اعتاد العيش فيه، سواء عن طريق السفر أو النفي وما يصاحبه من مشاعر شوق وحنين وانتماء، أما بالنسبة للنوع الثاني من الغربة

1- أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، مجلد04،البصرة ،العراق، 2015 ،ص410.

2- إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، تح : أحمد عبد الغفور عطار، (مادة غرب) ، ج1، دار الملايين للعلم، ط4 ،1990، ص197.

3- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في العصر الجاهلي منشورات اتحاد كتاب العرب، 1981، ص12.

(معنوية) أو ما أطلق عليه مصطلح "الاغتراب" فهو نوع غير مرتبط بمكان معين فقد يكون الشخص مثلا في وطنه لكن شعور الاغتراب يلازمه، فالاغتراب مفهوم عميق يتجاوز مفهوم الغربة وهو يقوم على التّمرد والخروج عن مبادئ المجتمع والمحيط الذي ينتمي إليه.

فهذا ما يمكن قوله في التعريف اللغوي لمصطلح الاغتراب في المعاجم العربيّة، ولا حاجة لنا لرصد المزيد من التّعريفات من هذه المعاجم حتى لا ندخل في التكرار، لأن جلّ المعاجم تقريبا اتفقت على أنّ الاغتراب لغة يذهب لمعنى الابتعاد عن الوطن مع بعض الإضافات البسيطة من معجم لآخر.

نظرا لأهميّة مصطلح الاغتراب كمصطلح وظاهرة كان للمعاجم الغربيّة أيضا اهتمام بمصطلح الاغتراب خاصة المعاجم الفرنسيّة منها، حيث أن مصطلح الاغتراب يقابله بالفرنسية كلمة «**ÉNATIONALI**»[1] وهي تعني عمليّة انتقال الملكيّة من شخص لآخر.

ونجد في معجم " **Quillet** " الفرنسي الاغتراب جاء بمعنى اغترب واستلب بمعنى تنازل عن ملكيّة، وأيضا في المعنى المجازيّ " فعل الابتعاد عن الآخرين وتحاشي ربط علاقات معهم"[2]، فهذا التعريف يشير الى أن الاغتراب هو التنازل في ملكيّة شيء ما لشخص آخر، أما بالنسبة لتعريفه المجازيّ فهو مرتبط بتجنب وتفادي الاندماج مع المجتمع، وكلّ ما يحيط به.

1- عبد القادر شريف بموسى، مصطلح الاغتراب في الأدب والعلوم النفسية والاجتماعية، دراسات أدبية، كلية الآداب واللّغات تلمسان جامعة أبي بكر بلقايد، العدد رقم:16 ،ص20.

2- المرجع نفسه، ص20.

نجد أيضا في معجم " **Larousse**" الموسوعي أن الاغتراب هو: «انتقال إرادي أو قانوني إلى شخص آخر لملكية أو حق...والمعنى المجازي: فعل الابتعاد عن الذات»[1]، فهدا التعريف يشبه التعريف الذي ورد في معجم" **Quillet**" إلى حدّ بعيد، إذ كلاهما يركزان على فكرة التنازل عن **الحق أو الملكية،** والمعنى المجازي أيضا يحمل بعدا نفسيا واجتماعيا أعمق يتمثل في الابتعاد عن الذات والآخرين والانفصال عن الهوية.

وهناك أيضا العديد من المعاجم الأجنبية الأخرى الّتي تناولت هذا المفهوم، والّتي تتفق بشكل عام مع المعاني السابقة وتدور معها الفكرة نفسها والاتجاه نفسه، وهي فكرة الابتعاد والانفصال عن الآخرين أو عن الذات ومن خلال هذه التعريفات اتضح لنا أن المصطلح يحمل أبعاد نفسية واجتماعية وغيرها.

2/ اصطلاحا:

تعددت معاني الاغتراب في المعنى الاصطلاحيّ، وهذا نظرا لاختلاف الميادين الّتي وجد فيها فقد شاع وعرف في الفلسفة القديمة وعلم الاجتماع، وعلم النفس وفي الأدب عموما، بناء عليه سنقوم بتتبع معناه اصطلاحا، والبداية ستكون مع الجذور الفلسّفية لهذا المصطلح.

أ –**جذوره الفلسفية:** بتتبع تاريخ ونشأة مصطلح الاغتراب نجد أن جذوره الأولى تعود للغرب وإلى الدرس الفلسفيّ تحدّيدًا، ف" **هيجل Hegel** " يعد أول وأبرز من استخدم هذا المصطلح استخداما مباشرا في الفلسّفة اليونانية، ويوصف بأنه أبو الاغتراب.

1- عبد القادر شريف بموسى، مصطلح الاغتراب في الأدب والعلوم النفسية والاجتماعية، دراسات أدبية، ص21.

إذ أرجع مفهوم الاغتراب إلى «حالة اللاّقدرة والعجز الّتي يعانيها الإنسان عندما يفقد السيطرة على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته فتوظف لصالح غيره، بهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية»[1]، يرى "**هيجل**" أنّ فقدان الفرد لسيطرته على إبداعاته تُستغل ضدّه مما يفقده القدرة على التأثير في مصيره واتخاذ قرارات حاسمة وتحقيق طموحاته، وأيضا يرى أنّ «الاغتراب يحدث عندما يشعر الفرد بأن عمله لا يشبع حاجاته ولا يحقق ذاته فيحدث انفصال بينه وبين عمله»[2].

فهذه الموسوعة الفلسّفية تصف «الاغتراب بأنّه مفهوم يصف كلا من عمليّة ونتائج تبديل ناتج النّشاط الإنسانيّ والاجتماعيّ (منتجات العمل، النقود، العلاقات الاجتماعية...) في ظروف تاريخيّة معيّنة، وكذلك تحويل خصائص وقدرات الإنسان إلى شيء مستقل عنها ومتسلّط عليها وأيضا تحول بعض الظواهر والعلاقات إلى شيء يختلف عما هو عليه في حدّ ذاته وتشويه علاقاتها الفعليّة في الحياة في أذهان الناس »[3]، يعني أنّ الاغتراب عملية أو نتيجة لتحوّل النّشاط الإنسانيّ والاجتماعيّ بحيث يصبح الإنسان غريبا عن نتاج عمله أو عن البيئة الاجتماعيّة المحيطة به.

نجد في مفهوم آخر «أن الاغتراب هو شعور الفنان أن العالم كله سجن أقحم فيه مرغما فيكبّله ويشعره بأنه غريب بين أهله وناسه، ينظر إليه بعض الباحثين من زاوية الفلسفة على أنّه

1- حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص37/38.

2- طارق بن موسى العتيبي، الاغتراب دراسة تأصيليّة علميّة، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، السعودية،2018، ص35.

3- الموسوعة الفلسّفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين، السوفيات، تر: سمير كرم، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، ط3، يونيو1981، ص266.

تحول منتجات النّشاط الإنسانيّ والاجتماعيّ إلى شيء مستقل عن الإنسان ومتحكّم فيه »[1]، يشير هذا القول إلى أنّ الاغتراب حالة نفسيّة يشعر فيها الإنسان خاصّة الفنان أنّه غريب حتّى بين أهله وكأنّه مسجون بقيود المجتمع، كما يتناول بعدا فلسفيّا حيث تتحوّل أعمال الإنسان إلى كيانات مستقلة منفصلة عن الذات تتحكّم فيه وتسيطر عليه بدل أن يكون هو من يتحكّم فيها، ما يزيد من إحساسه بالغربة والعجز واللاّ معنى.

ومن الفلسفة الألمانية نجد " **لودويغ فيورباخ Ludwing Feuerbach** " الذي اعتبر الدين مصدر اغتراب الإنسان فيقول:« إنّ الدين هو نوع من اغتراب الإنسان عن نفسه أي الاغتراب الذاتيّ بذلك يتصرف الإنسان واضعا نفسه تحت سيطرة مخلوقاته، الّتي قد تتحكّم به بدلا أن يتحكّم بها، فيصبح الإله صورة للكمال ويتحوّل الإنسان إلى مثال للخطيئة»[2]، تطرق "**فيورباخ**" في هذا الصدد إلى نوع الاغتراب الدّيني إذ أنّ الدّين يسلب الإنسان صفاته الخاصة ويسقطها على إله مثاليّ، ونتيجة لذلك يصبح الإنسان ضعيفا ويتعزّز شعور الخطيئة والذنب داخله ما يجعله بعيدا عن دّينه وحتّى عن ذاته.

تحدّث "**مارتن هايدغر Martin Heidegger** "ضمن الاتجاه الوجوديّ كونه أحد التيّارات الفلسّفية عن مصطلح الاغتراب في كتابه "**الوجود والزمن**" وقال: «يكون الإنسان مغتربا عندما يتخلى عن حق الاختيار ويهرب من ذاته والأزمات ويعيش في حالة من الزيف، ويغرق في الحاضر وفي عالم الآخرين فينفي وجوده ويصبح واحدا من الآخرين»[3]، ففي نظره الإنسان

1- أحمد على الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعية نفسية) ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص15.

2- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، ص39/38.

3- المرجع نفسه، ص46.

المغترب هو من يتهرب مواجهة ذاته الحقيقية، ويتخلى عن حريته في اتخاذ قرارات مصيريّة ويدع الآخرين يختارون بدله، فيتبنى أفكارهم ويعيش على منطقهم دون تفكير منه ليصبح نسخة مكرّرة منهم فينشغل بالحاضر فقط دون الماضي والمستقبل.

ومن جهة أخرى يقول "**تيليك بول Paul Tillich** "«وهكذا نجد أن حالة حياتنا الكلية عبارة عن اغتراب عن الآخرين وعن أنفسنا، لأننا مغتربون عن أساس وجودنا، لأننا مغتربون عن أصل حياتنا وهدفها»[1]، يرى وفق هذا التّصور أن الإنسان لم يعد يعيش في انسجام مع ذاته ومحيطه وحتّى مع الله فأصبح مخلوق تائه يشعر بالانفصال عن ذاته وتتحكم فيه ذوات غير ذاته، ولأن الله هو أساس الوجود فإن انفصال الانسان عن غاية وجوده والهدف من وجوده يجعله يعيش دون مرتكز وفي أزمة هوية وجوديّة ويسقط في الفراغ الوجوديّ ما يجعله يبحث عن بدائل زائفة كالتّعلّق بأشياء ماديّة.

نجد " **جون بول سارتر Jean-Paul sartar** " يضع مفهوما للاغتراب قائلا: «إنّ الإنسان يغترب عن نفسه، ليس فقط في مواجهة العدم، بل أيضا في علاقته مع الآخر، إنّه في هذه الحالة قد يختبر نفسه من خلال نظرة الآخر إليه كشيء أو موضوع»[2]، انطلق "**سارتر**" من فكرة مركزيّة في الفكر الوجوديّ فهو يرى أن أصل اغتراب الإنسان راجع لعلاقته مع الآخر (المجتمع)، ليس فقط بسبب فقدان المعنى والغرض والهدف من الحياة، فعند تعرض الإنسان للفراغ الوجوديّ(العدم) يتولد داخله شعور بالانفصال عن الذات، والضياع وأضاف أن الآخر له علاقة في اغترابه هذا،

1- تيليك بول، زعزعة الأساسات، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية لدراسات النّشر والتّوزيع، بيروت، 1995 ، ص13.

2- حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، ص47.

فالإنسان يفقد حريته ليرى نفسه بنظرة الآخرين له حيث يصبح الآخر مرآة ترى فيها الذات نفسها كشيء أو موضوع ما.

ب – جذوره الاجتماعيّة:

وردت العديد من التّعاريف للاغتراب في هذا الشأن، ندرج منها تعريف " **كارل ماركس karl Marx** " إذ يقصد به «أنّ الفرد يمر أحيانا بأوضاع يفقد نفسه ويصبح غريبا أمامه نشاطه وأعماله ويكاد يفقد إنسانيّته»[1]، وقال أيضا: «إنّ الاغتراب حالة عامّة في المجتمعات الرأسماليّة الّتي حوّلت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوى مستقلة عنها ومعاديّة عنها»[2]، ربط "**كارل ماركس**" مفهوم الاغتراب بالنظام الرأسماليّ إذ أن الاغتراب عنده هو نتيجة للأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة السّائدة في أوروبا في مرحلة معيّنة من تطوّرات اقتصاديّة وتكنولوجيّة، حيث هذا التطور أفقد العامل ذاتيته وجعله يحسّ بعدم الانتماء لناتج عمله فتصبح هذه المنتجات من شيء يسيطر عليه إلى شيء منفصل عنه بل ويتحكّم فيه، وعدوا له.

جاء العالم الألماني "**ماكس فيبر Max Weber** " بعد "**كارل ماكس**" ليعقب على ما قاله إذ رأى «أنّ العجز حالة عامة لا تقتصر على العامل بل تتّصف بها جميع العلاقات الاجتماعيّة، فيؤكد أن العالم والباحث والجنديّ والأستاذ الجامعيّ وغيرهم لا يسيطرون على وسائلهم ومنتجاتهم بفعل كونها مستقلة عنهم في الكثير من الأحيان»[3]، خالف "**ماكس فيبر**" في تعريفه هذا رأي "**كارل ماركس**" ونظر إلى الاغتراب على أنّه ظاهرة أوسع وأشمل لا تقتصر على النظام الرّأسمالي فقط، وإنما يظهر الاغتراب في جميع العلاقات الاجتماعيّة سواء عند العالم أو الباحث أو الجنديّ أو

1– صونية حداد، نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الإحياء، العدد الرابع عشر، 2010، ص594.
2– حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، ص39.
3– حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة، متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ص42.

الأستاذ الجامعي إذ أن العوامل الثّقافيّة والدّينيّة والإداريّة لها دور مهمّ لا يقلّ أهميّة عن العوامل الاقتصاديّة، فالعلاقات الاجتماعيّة أصبحت مقيّدة بمجموعة من القوانين، الّتي تقلّل من حرية الفرد فمثلا العالم لا يستطيع التّحكّم في كيفية توظيف أبحاثه ونتائجها، والأستاذ الجامعيّ أيضا قد يجبر على الالتزام بمناهج معيّنة تكون مفروضة عليه .

ولم يستخدم " **إيميل دوركهايم Emile Durkheim** "عالم الاجتماع الفرنسي مصطلح الاغتراب بصفة مباشرة إنمّا أطلق عليه مصطلح **Anomie** «ويشير هذا المصطلح إلى حالة تدهور المعايير الّتي تضبط العلاقات الاجتماعيّة، فينشأ عن ذلك أزمات حادة بين عدّة فئات متنافسة أو متناحرة...ما يهدّد التّماسك الاجتماعيّ بالوصول حتّى إلى درجة التّفسخ والنّزاع »[1]، يعني أن فقدان المعايير وانهيار القيّم والضّوابط الاجتماعيّة، التّي تضبط العلاقات داخل المجتمع يخلق نوع من الفردية ويضعف العلاقات الاجتماعيّة إلى درجة فقدان تماسك المجتمع وحتى ظهور صراعات حادّة بين فئات وأفراد المجتمع.

وفي علم الاجتماع الأمريكي عرف "**ميلفن سيمان Melvin seeman** " الاغتراب على أنه «شعور بالغموض أو نوع من الرفض للقواعد والتعليمات الّتي يفرضها المجتمع ويمكن أن تربط بهذا التوقع القول بأن أنماط السلوك غير اجتماعية (لا يوافق عليها المجتمع) يمكن أن تكون ضروريّة لتحقيق غايات هامّة في حياة الفرد »[2] ،يقصد بذلك أنّ الشخص المغترب يشعر بأنّه غير متقبل وغير مقتنع بالقوانين والمعايير الّتي يفرضها المجتمع، ويرى أنها تعيق تحقيق أهدافه ما

1- المرجع نفسه، ص44.

2- خير الله عصار، مبادئ علم النفس الاجتماعيّ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1984، ص180.

يجعله يتبع سلوكيات غير اجتماعية مثل: عدم احترام هذه القوانين، أو التّمرد على العادات والتّقاليد الّتي تساعده في تحقيق أهدافه حسبه.

يظهر لنا أنّ الاغتراب وفقا لجذوره الاجتماعيّة ليس حالة فرديّة معزولة، إنمّا هو ظاهرة اجتماعيّة يتداخل فيها البعد الاقتصاديّ والثقافيّ والسياسيّ وهي تعكس واقعا معقد عاشه الإنسان ولا زال يعيشه في ظلّ الثّورة الصّناعيّة والتّطور التّكنولوجي والحضاريّ... فحالة الاغتراب ماهي إلا انعكاس لحالة التّفكك بين الفرد والمجتمع الّذي ينتمي إليه أو بين الفرد وعمله.

يتّضح لنا من خلال تتبع الاغتراب كمفهوم أن جذوره تعود إلى الفكر الفلسفيّ والاجتماعيّ ويتسم هذا المفهوم بالاختلاف والتّنوع من مذهب إلى آخر ومن شخص لآخر، وهذا كلّ حسب مرجعيته الفكريّة وخلفيّته المعرفيّة إذ أخذ أبعاد متعدّدة حسب السياق الّذي طرح فيه، فالفكر الفلسفيّ نظر إليه كحالة ميتافيزيقيّة متعلّقة بانفصال الفرد عن ذاته وجوهره الحقيقيّ، في حين أن الفكر الاجتماعيّ أكسبه طابعا ماديّا اقتصاديّا متعلّقا بالنظام الرأسماليّ ما نتج عنه من انفصال للعامل عن نتاج عمله وحتّى عن مجتمعه الّذي يتحكّم فيه، أمّا بالنسبة للفكر الوجوديّ فنظر للاغتراب كحالة داخليّة متعلّقة بالذات، ونابعة من شعور الإنسان بالعبث واللاّجدوى واللاّمعنى واللاّنتماء، وهذا التّنوع والاختلاف في وضع مفهوم للاغتراب يعكس عمق العلاقة المعقدة بين الفرد وذاته، ومجتمعه، ومعنى وجوده.

ثانيا: أنواع الاغتراب:

اتخذ مفهوم الاغتراب أشكالا متعدّدة في ظلّ التّحوّلات العميقة الّتي شهدتها المجتمعات الحديثة الغربيّة منها والعربيّة، من ثورة صناعيّة وحركات استعماريّة ما جعل الإنسان الحديث والمعاصر يعيش حالة من التّشظي والضياع ويبحث عن معنى لحياته وهويته فمن هذا نشأت الحاجة لتصنيف الاغتراب إلى أنواع مختلفة، وهذا وفق الزاوية الّتي ينظر إليه بها فنجد: الاغتراب النفسيّ، والاغتراب الاجتماعيّ والسياسيّ والمكانيّ والزمانيّ وغيرها ممّا سنوضّحه في هذا الجزء المعنون بأنواع الاغتراب.

1/ الاغتراب النّفسيّ:

يعرف الاغتراب النّفسيّ أنّه: «شعور الفرد بالعزلة وعدم الانتماء وفقدان الثقة ورفض القيم والمعايير الاجتماعيّة والمعاناة من الضغوط النّفسيّة وتعرض وحدة الشّخصيّة للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثّقافيّة، والاجتماعيّة الّتي تتمّ داخل المجتمع»[1]، أي الاغتراب النفسي هو حالة من الشعور بعدم الانتماء وفقدان الثقة والانفصال عن المجتمع وعدم القدرة على التفاعل معه بشكل طبيعيّ، وهذا نتيجة ضغوطات نفسيّة تؤثر عليه وتجعله يعيش في صراع داخليّ يؤدي إلى تدهور شخصيّته.

ونجد في تعريف آخر أن الاغتراب النّفسيّ يتضمن «انعدام الصلة بين الفرد وجزء عميق بنفسه أو ذاته وقد يكون اغترابا عن قيم مجتمعه لانعدام تفاعله عاطفيّا وفكريّا مع تلك القيم»[2]،

1- عبد الله عبد الله، الاغتراب النّفسيّ وعلاقته بالصّحّة النّفسيّة لدى الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس وعلوم التربيّة والأرطوفونيا، جامعة الجزائر، يوسف بن خدة 2008/2007، ص15.

2- أحمد علي الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجريّ (دراسة اجتماعيّة نفسيّة)، ص122.

يشير هذا التّعريف إلى أنّ الاغتراب النّفسيّ هو فقدان التّواصل بين الفرد وذاته، وعدم التّقبل والقدرة على التّفاعل مع القيم الّتي يؤمن بها مجتمعه ما يولد داخله شعورا بالانتماء إلى هذه القيم ومنه الشعور بالاغتراب حتّى داخل مجتمعه وقيمه فهذا التّفسير له بعد ثقافيّ.

يتعلّق الاغتراب في سياق آخر «بما يصيب الفرد من اضطرابات عقليّة ونفسيّة أو غياب للوعي أو ما يستشعره الإنسان من غربة نتيجة عن ترهل علاقته مع الآخرين»[1]، فالنّص يشير إلى حالة الاغتراب النّفسيّ الّذي عادة ما يكون نتيجة مشاكل داخليّة مثل القلق والاكتئاب واضطرابات الهوية فيشعر الإنسان أنّه منفصل عن ذاته وواقعه وأيضا يكون نتيجة تدهور علاقاته الاجتماعيّة الّتي تفقده شعور الانسجام والانتماء إلى المحيط أو المجتمع الّذي ينتمي إليه ما يولد إحساس بالوحدة والعزلة، وأيضا يقال: «إنّ الاغتراب عن الذات ينطوي على شعور الفرد بانفصاله عن ذاته وهو نمط من التّجربة يرى فيها الفرد نفسه كما لو كانت غريبة عنه»[2]، فيقصد هنا أن الانسان قد يمرّ بحالة نفسيّة يشعر فيها بالانفصال عن نفسه وكأنّه لا يعرف ذاته ولا يشعر بالانسجام مع نفسه فينظر إلى تصرفاته وأفكاره ومشاعره على أنّها غريبة عنه ولا تنتمي إليه.

وعرف الاغتراب النّفسيّ على أنّه «شعور بالعزلة والرفض والعجز عن أداء مهامه وسلوكاته بشكل عادي»[3]، يقدّم هذا القول تعريفا مختلفا للاغتراب النّفسيّ حيث لا يقتصر شعور الاغتراب

1- أميرة علي الزهراني، الاغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربيّة، أطروحة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، السعودية، 2005، ص16.

2- عفاف محمد عبد المنعم، الاغتراب النّفسيّ ومظاهره والنظريات المفسّرة، دراسة تطبيقيّة، دار المعرفة الجامعيّة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، الاسكندرية، مصر، ط1، 2008، ص37.

3- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 8، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2012، ص349.

على إحساس الانفصال الداخلي بل يتجلّى أيضا في سلوكه وعدم قدرته على أداء مهامه وواجباته ما يشعره بعدم الانتماء والعزلة ويشعر بأنه مرفوض وغير مقبول.

وجاء أيضا على أنّه« شعور الفرد بالوحدة والفراغ النّفسيّ والافتقار للأمن والعلاقات الاجتماعيّة الحميميّة والبعد عن الآخرين»[1] ، فسّر هذا النّص الاغتراب النّفسيّ على أنّه حالة يشعر فيها الفرد المغترب بالعزلة والوحدة حتّى في وجود الآخرين وهذه الوحدة لا تتعلّق بالانعزال الجسديّ، إنمّا هي عزلة أعمق نابعة من إحساسه بالفراغ النّفسيّ والعزلة النّفسيّة التّي تجعله يحسّ بأنّه غريب ولا ينتمي للمحيط الّذي يعيش فيه، ولا يشعر بالأمان والراحة ما يجعله يبتعد عن إقامة علاقات اجتماعيّة مع الآخرين، ومنه عدم القدرة على التّفاعل بشكل طبيعيّ مع محيطه.

فالاغتراب النّفسيّ يعدّ النّواة الأولى لباقي أنواع وأشكال الاغتراب فهو يمثّل حالة من الانفصال عن الذات والافتقار لمشاعر الانتماء والتوازن الداخلي وهذا ما يعرض الفرد الى الشعور بالغربة عن مجتمعه (الاغتراب الاجتماعيّ)، وعن ثقافته (الاغتراب الثقافيّ)، بل وحتى عن انتماءه ومعتقداته الدينية (الاغتراب الدّينيّ)، لهذا لا يمكن فهم الأنواع والأشكال الأخرى للاغتراب دون التّعمق وفهم نوع الاغتراب النّفسيّ.

1- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة في سيكولوجيّة الاغتراب، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 2003، ص39.

2/ الاغتراب الاجتماعيّ:

يختلف الاغتراب الاجتماعيّ عن الاغتراب النّفسيّ إذ أن الاغتراب الاجتماعيّ يركز على علاقة الانفصال بين الفرد والمجتمع ومع من حوله، في حين أن الاغتراب النفسي يركز على علاقة الانفصال بين الفرد وذاته أي أن الاغتراب النّفسيّ داخليّ والاغتراب الاجتماعيّ خارجيّ .

لطالما ارتبط مفهوم الاغتراب الاجتماعيّ بالرفض والعزلة «فالاغتراب عن المجتمع مغايرة معاييره، والشعور بالعزلة والهامشيّة الاجتماعيّة، والمعارضة والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعيّ العاديّ»[1]، فالاغتراب الاجتماعيّ ناتج عن فقدان شعور الانتماء إلى المجتمع الّذي ينتمي إليه والمحيط الّذي يعيش فيه وينتج أيضا من إحساس التهميش واللاّمعنى في المجتمع فيحسّ الفرد بأنه أقل شأنا من الآخرين ما يدفعه إلى الانسحاب من الحياة الاجتماعيّة إلى العزلة والانفراد ورفض القيم الاجتماعيّة ومنه التمرد على قيم المجتمع هذا لأنه يشعر أنّ هذا المجتمع الذّي ينتمي إليه لا يشعره بالأمان ولا يمثّله فيصبح غير قادر على ممارسة سلوكاته في المجتمع بشكل طبيعيّ بما فيها الّتفاعل معه وتكوين علاقات.

اهتم" **كارل ماركس Karl Marx** "بالاغتراب وأشار إلى أسباب حدوث الاغتراب الاجتماعيّ فقال: «الاغتراب يحدث بشكل عام حينما تسيطر على الإنسان البيئة الاجتماعيّة الّتي خلفها بيده ولقد رأى بأن هذه الظاهرة تحدث بصفة خاصة في المجتمع الرّأسمالي، إذ ينفصل البشر ولا يستطيعون على ما ينتجون وتفقد جماعية العمل معالمها»[2]، تحدث "**كارل ماركس**" عن نوع من الاغتراب يحدث في المجتمع الرّأسمالي إذ تصبح هذه العلاقات والقوانين الّتي أنشأها هي من

1- عبد الله عبد الله، الاغتراب علاقته بالصّحّة النّفسيّة، ص44.

2- عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، مفهوم الاغتراب عند فلاسفة مدرسة فرانكفورت، مجلة لوغوس، العدد04 /03، 2015، ص55

تفرض عليه سيطرتها وتتحكّم فيه بدل أن يتحكّم فيها، وبالتالي تحدث عملية الانفصال بين العامل وذاته وحتى بين العمال نفسهم فكلّ عامل منشغل بعمله الخاص وهم ينظرون لبعضهم كشركاء في الإنتاج فقط ما يجعل تحقق العلاقات الإنسانيّة الحقيقيّة مستحيلة، هو يقصد بقوله أن العمال لا يملكون ما ينتجون أي أنّ العامل ينتج لصالح جهة معيّنة لا لصالح نفسه وبالتّالي يصبح مغتربا عن نتاج عمله أي لا يتحكّم في نتاج عمله وبهذا يفقد العمل جماعيته ويصبح عمليةّ مفكّكة بدل أن يكون نشاطا جماعيّا ومنه يشعر بعدم الانتماء لهذا العمل والمحيط والمجتمع .

وفي سياق آخر عرّف الاغتراب على أنّه «الحالة السيكولوجيّة الّتي تسيطر على الفرد سيطرة تامة تجعله غريبا وبعيدا عن نواحي واقعه الاجتماعيّ»[1]، إذ أنّ الاغتراب هو شعور الفرد بالانفصال عن المجتمع والمحيط، الّذي يعيش فيه فهذه المشاعر تجعل الفرد ينعزل ويرفض التّفاعل مع المجتمع بشكل طبيعيّ.

بعد الاطلاع على العديد من التّعريفات والمفاهيم الّتي تخصّ الاغتراب الاجتماعيّ يمكننا استخلاص أنّه يشير إلى حالة نفسيةّ واجتماعيّة، يشعر فيها الفرد بالانفصال عن المجتمع وقيمه ومعاييره ويظهر هذا الانفصال من خلال العزلة والإحساس بالتّهميش وتحاشي تكوين علاقات اجتماعيّة مع أفراد المجتمع ولطالما ارتبط الاغتراب الاجتماعيّ بالنظم الاقتصاديّة وله أثر سلبي على التّماسك الاجتماعيّ.

1- دنكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1981، ص18.

3/الاغتراب السّياسيّ:

تداخل موضوع الاغتراب مع عديد الميادين والمجالات من فلسفة وعلم نفس وعلم الاجتماع وامتدّ إلى مجالات أوسع من بينها المجال السّياسيّ ضمن ما يعرف بالاغتراب السّياسيّ، وهذا في ظلّ تطوّر المجتمعات فعبّر الاغتراب السّياسيّ عن أزمة العلاقة بين الفرد وسياسة وطنه، والّتي تحدث عادة في المجتمعات التّي تفتقد إلى الدّيمقراطيّة فيصيب المواطن نوع من الانفصال عن سياسة وطنه.

يعرف الاغتراب السّياسيّ على أنه «شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة في اتخاذ القرارات السّياسيّة، فهو شعور المرء بعدم الرضى وعدم الارتياح للقيادة السّياسيةّ والرغبة في الابتعاد عنها وعن التوجهات السّياسيّة الحكومية والنظام السّياسيّ برمّته ... شعور الفرد بأنه ليس جزء في العمليّة السّياسيّة وأن صانعي القرارات السّياسيّة لا يضعون له اعتبار»[1]، أي أن الفرد يحسّ بتغربه عن سياسة وطنه رغم أنه يوجد أدوات ديموقراطيةّ وضعها النظام تساعده في التّعبير عن رأيه وأيضا يحسّ بالاغتراب نتيجة فقدان الثّقة في الحكّام والقادة السّياسيّين فيختار الابتعاد عن المشاركة السّياسيّة بعد إحساسه بالتّهميش وأنّ رأيه مستبعد لا يغيّر شيئا، ولا يؤخذ بعين الاعتبار ولا حاجة له في المشاركة في القرارات السّياسيّة، ويشعر بالانفصال وعدم الانتماء لسياسة وطنه.

وفي ذات السياق عبر عن الاغتراب السّياسيّ على أنّه «وجود شعور دائم نسبيّا من القطيعة أو رفض اتجاه النظام السّياسيّ السّائد، مع التّأكيد على أهميّة التفرقة بين هذا الموقف والشعور بعدم الموافقة على موظفي الحكومة الحاليّين الّذي قد لا يمثّل اغتراب سياسي بقدر ما هو

1- جديدي زليخة، الاغتراب، ص350.

رفض لموظفين حكوميّين بعينهم »[1]، أي أنّ الاغتراب السّياسيّ ليس مجرد نظرة مؤقتة للفرد عن النظام السّياسيّ بل هو شعور دائم يستمر لفترات طويلة من رفض وعدم التّقبل مثلا الشّكّ في عدالة القوانين والمؤسّسات...فالمواطن يصبح دائما ليس له ثقة في النظام السّياسيّ بالكامل ولا يؤمن به لفساده غير القابل للإصلاح، فهذا هو ما يسمّى بالاغتراب السياسي وليس ما نراه مثلا كعدم الرضا عن المسؤولين الحاليين بل هو أمر طبيعي يحدث في كل الدّيموقراطيّات فالمواطن المعارض لمؤسّسة ما أو وزير أو شخصيّة مهمّة في الحكومة لا يعني بالضرورة أنّه معاد لكلّ النظام، على غرار ما نعنيه بالاغتراب السّياسيّ فهو رفض كلّي للإطار السّياسيّ.

في حين أن هناك من ربط الاغتراب السّياسيّ بالاستيلاب، والاستيلاب السّياسيّ «هو شعور الشخص بالغربة إزاء السّياسة والحكومة في مجتمعه ...والميل نحو التفكير بأنّ الحكومة والسّياسة للأمة تداران من قبل الآخرين، ولمصلحة الآخرين ووفقا لمجموعة من القواعد غير العادلة»[2]، مفهوم الاغتراب السّياسيّ هنا يتعلّق بالاستيلاب بالسّياسيّ وهو يذهب إلى أنّ الشخص المغترب سياسيا يشعر بعدم الانتماء إلى النظام السّياسيّ أو الحكومة وكأنّه غريب في بلده ومجتمعه ويشعر أنّ القرارات والقوانين الّتي تحكمه لا تعبّر عن رأيه وإرادته أو لمصلحته، بل لمصلحة فئات أخرى قد تكون ظالمة أو غير عادلة.

1- خالد أحمد حسين القيداني، الاغتراب السياسي وعلاقته بشكل الدولة ونظام الحكم فيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2015_2016، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السّياسيّة والعلاقات الدوليّة، ص61.

2- صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، بغداد، العراق، 1990، ص595.

يقصد بالاغتراب السّياسيّ في موضع آخر أنّه« خضوع الفرد لتأثير السّلطة الطّاغية بحيث أنّه يصبح مجرد أداة في يدها»[1]، أي أنّ السّلطة هي من تتحكّم بالفرد، وتجعله غير قادر على التعبير بحرية عن قراراته أو إعطاء صوته، ولا يمثّل بهذا إلا وسيلة وآلة في يد السّلطة يستخدم لتحقيق أهدافها وينفذ ما تفرضه عليه .

4 /الاغتراب الدّينيّ :

سنتطرق في البداية إلى ملامح ظاهرة الاغتراب في القرآن وفي الإسلام عامة كونه الأسبق زمنيّا في الظهور، فنجد أن مصطلح الاغتراب ورد في القرآن الكريم في مواضع عدّة ف"**آدم عليه السلام**" بعد أن خرج من الجنّة واغترب في الأرض الموحشة كادت مشاعر الخوف والحزن والوحدة تستولى عليه، ودليل ذلك قوله تعالى: «فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ» الآية(37) سورة البقرة.

أي خفت مشاعر الاغتراب فالإنسان كلما اقترب من الله اطمئن قلبه وزال إحساس الوحشة والوحدة عنه، كما نجد الاغتراب في الإسلام وبعد مجيء "**الرسول صلى الله عليه وسلم**" وبدخول فئة من النّاس إلى الإسلام ومخالفتهم ما كان قومهم عليه والكفر بمعتقداته، فكان يتمّ رفض وحصر هذه الفئة التّي أسلمت وإذاقتهم أشدّ أنواع العذاب بل وأصبحوا غرباء عن أهلهم وعشيرتهم، حيث

1-عبد الوهاب الكيلاني، الموسوعة السّياسيّة، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، دط، دت، الجزء1، بيروت، ص216.

وصف "**الرّسول صلّى الله عليه وسلّم**" وقال: «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء، وقيل: ومن الغرباء يا رسول الله، قال: الذين يصلحون إذا فسد النّاس»[1].

أما بالنسبة للحديث النّبويّ الشّريف فنجد الاغتراب وارد فيه أيضا في قوله:«كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل »[2]، فهنا دعوة إلى الاغتراب في الدنيا وعدم التعلّق بها والتّمسك بها وبملذاتها، وأيضا دعوة إلى إدراك أن الدنيا ليست دار الخلد إنمّا محطة عبور نحو الدّار الآخرة.

يمكن القول أنّ البدايات الأولى للاغتراب الدّينيّ تزامنت مع بدايات ظهور الإنسان وقد شمل كلّ الأديان، لكن لم يتمّ توظيف هذا المصطلح إلا مع ظهور الفلسّفة الحديثة بمجيئ "**فيورباخ**" الذي وضع تعريفا صريحا للاغتراب الدّينيّ.

ففكرة "**فيورباخ**" حول « أنّ عمليّة الإنسان حين يجسّد صفاته البشريّة في صورة إله فإنّه ينكر على نفسه الإشباع الحقيقيّ، وينغمس بدلا من ذلك في إشباع خياليّ إسقاط الصّفات الإنسانيّة على الله هذه هي ما يقصد بها فكرة الاغتراب الديني بأوسع معانيه» [3]، أي أن الاغتراب الدّينيّ عند "**فيورباخ**" يكون عندما يأخذ الانسان الصفات الإنسانيّة المثاليّة (كالرحمة والحكمة والقوة ...) وينسبها إلى الله وبهذا يصبح مغتربا ويشعر بأنه دون قيمة، وينظر إلى هذه الصّفات السّامية على أنّها جاءت من إله لا على أنّها نابعة من ذاته وصّفات خاصة به.

1-مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، ط1، باب الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، بيروت، لبنان،1991، ص146.

2- محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، ط2، بيروت، 1993،ص741

3- فيورباخ، أصل الدين، تر: أحمد عبد الحليم عطية، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1991، ص21.

تناول "**حليم بركات**" موضوع الاغتراب الدّينيّ في كتابه "الاغتراب في الثّقافة العربيّة" قائلا: «إنّ الاغتراب الدّينيّ يظهر عند الفرد من خلال حالتين الحالة الأولى تتمثّل في الاغتراب من الدّين، أي تصيب الفرد حالة من الرفض للدّين والمؤسّسة الدّينيّة التّقليديّة كونها لم تعد تلبي حاجاته وتعيق حريته وتطلعه للتّغيير، ما يجعل الفرد يتمرّد عليها ويبحث عن بدائل خارجها فينفصل عن الجماعة الدّينيّة نتيجة قناعته أن هذا الدّين وهذه المؤسّسة لا تمثّله ولا يشعر بأنه ينتمي إليها، أمّا الحالة الثانية للاغتراب الدّينيّ أي الاغتراب في الدّين الّذي يحدث عندما يفقد الفرد التوازن بين الإيمان والحرية الذاتية فينسب قواه الذاتية إلى قوى خارجية (إله) ليسلّمها نفسه ومصيره ويُضيع حريته وهذا يفضي به إلى حالة من الخضوع والاستلاب»[1]، فالملاحظ من خلال رؤية "**حليم بركات**" أنّ الاغتراب الدّينيّ يحدث إمّا من خلال القطيعة مع الدّين ورفضه والانفصال عنه كونه يمثل تقييد لحريته، كما يمكن أن ينشأ من عمق الإيمان حين تصبح السّلطة أو المؤسّسة الدّينيّة مرجع مطلق ويصبح خاضع لها.

وفي تعريف آخر يتعلّق الاغتراب الدّينيّ «بانفصال الإنسان عن الله أي يتعلّق بالخطيئة وارتكاب المعصية والخطيئة في جوهرها انفصال عن الله»[2]، حيث عندما يرتكب الإنسان سلوكيات خاطئة من معاصي وذنوب يبتعد عن الله، وهذا انعكاس لحالته الداخليّة من انفصال روحيّ حقيقيّ عن الله وعن القيم الدّينيةّ.

1-ينظر، حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع، ص125.

2-عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجيّة الاغتراب، ص25.

5/الاغتراب الزّمنيّ :

يعتبر الزّمن أحد أهمّ مكونات البنيّة السرديّة للرواية وهذا نظرا للدور الكبير الّذي يلعبه، إذ لا يمكن تصور نصّ سرديّ روائيّ خارج الإطار الزّمنيّ فهو لا يكتفي بترتيب تسلسل الأحداث فحسب إنمّا هو عنصر دلالي أيضا كما أن له وظيفة جمالية، وقد عرف الزمن لغة وورد في "**لسان العرب**" لـ"**ابن منظور**" أنّه «الزَّمَنُ والزَّمانُ: اسْمٌ لِقَلِيلِ الوَقْتِ وكَثِيرِهِ، وَالجَمْعُ أَزْمُنٌ وَأَزْمَانٌ وَأَزْمِنَةٌ، وَأَزْمَنَ الشَيْءُ: طَالَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَأَزْمَنَ بِالْمَكَانِ أَقَامَ بِهِ زَمَاناً، وَالزَمَانُ يَقَعُ عَلَى الْفَصْلِ مِنْ فُصُولِ السَّنَةِ وَعَلَى مُدَّةِ وِلَايَةِ الرَجُلِ وَمَا أَشْبَهْ»[1]، أي أنّ الزمان هو الوقت، الكثير منه أو القليل كما يعني حسبه فصل من فصول السنة.

وفي "**قاموس المحيط**" أيضا قيل «هو اِسْمانِ لقَليلِ الوَقْتِ وكثيرِه، والجمعُ: أَزْمانٌ وأَزْمِنَةٌ وَأَزْمُنٌ ولَقيتُه ذَات الزُّمَنينِ»[2]، فنلاحظ اتفاق النّصّين السابقين على تعريف لغوي واحد للزمن وهو اسم يطلق على الوقت سواء كان قليل أو كثير وهو يشمل الماضي والحاضر والمستقبل.

يعبّر المعنى اللغوي الامتداد والاستمرارية إلا أنّ المعنى الاصطلاحي يوصف بأنّه مفهوم معقد للغاية فهو لا يتوقف على تعاقب الساعات والأيام إنمّا هو إطار وبنية تتعاقب فيها الأحداث إذ يرى "**الجرجاني**" بأنّه «مقدار حركة الفلك عند الحكماء أما عند المتكلمين فهو عبارة عن متجدد معلوم يقدّر به متجدد آخر موهوم كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس فإن طلوع الشمس معلوم، ومجيئه موهوم فإذا تزن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام»[3]، فـ"**الجرجاني**" وضع مفهوم للزمن وفق

1- ابن منظور، لسان العرب، مجلد4، مادة زمن، ص1867.

2- الفيروز أبادي، قاموس المحيط، مادة زمن، ص720

3- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، القاهرة، باب (الميم مع القاف والكاف) ، 1938، ص151.

منظورين الأول عند الحكماء أو الفلاسفة والزمن حسبهم مقدار حركة الفلك أي الشمس أو القمر أو النجوم، أما من خلال المنظور الثاني أي المتكلمين كما وصفهم فالزمن حسبهم هو كل حدث متجدّد ومعلوم يستخدم لقياس حدث آخر، وقد وظف مثال طلوع الشمس فالمعروف أن هذا الحدث وهو طلوع الشمس مرتبط بوقت معلوم، وكلما يتجدّد هذا الحدث وهو طلوع الشمس بانتظام يكون وسيلة لقياس الزمن.

كما أن هناك من يعرفه على بالقول: «ليس المقصود به هذه السنوات والشهور والأيام والساعات والدقائق أو الفصول أو اللّيل والنّهار بل هو هذه المادة المعنويّة المجردة التي يتشكلّ منها إطار كل حياة، وحيّز كل فعل وكل حركة بل إنّها بعض لا يتجزأ من كل الموجودات وكلّ وجوه حركتها ومظاهرها وسلوكها»[1]، أي أن الزمن في جوهره الحقيقي ليس ما نعرفه من سنوات وشهور وما نرصده من تعاقب لليل والنّهار، إنمّا هو ذلك الشيء المعنويّ المجرد وهو الفضاء الّذي يحتضن كلّ فعل من هذه الحياة ويعطي له معنى.

فبالرغم من أنّه لا يوجد تعريفات ومفاهيم مباشرة للاغتراب الزّمنيّ إلا أننا وجدنا بعض المفاهيم الّتي تفسر ماهيته فقيل: « هو اغتراب تاريخيّ بمعنىّ أنّ المغترب زمانيا يمكن أن يكون المغترب مغترباً عن الحاضر أو الماضي أو المستقبل أو عنها جميعاً ويتجلى في عدم تقبله وعدم الانتماء إليه»[2]، هذا النص يسلط الضوء على مفهوم الاغتراب الزّمنيّ، وفُسر على أنه اغتراب تاريخيّ أي شعور بعدم الانتماء إلى الزمن الذي يعيش فيه وينتمي إليه فالمغترب زمانيا ينتابه شعور بالقطيعة والانفصال عن الزمن الماضي أو أحداث ماضية أو عن الواقع الحالي، فيشعر أنّ

1-عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالاته، الدار العربية للكتاب، دط، 1988، ص7.

2- فاطمه جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر"علي فودة" وردود فعله عليها، إضاءات نقديّة (فصليةّ محكّمة)، العدد27، 2017، ص88.

هذا الزمن لا يتوافق مع أفكاره وتطلعاته ،ويشعر بالاغتراب عن المستقبل أيضا حينما يغيب الأمل فتنعدم الرغبة في التّخطيط وانتظار المستقبل، كما قد يصيب الإنسان شعور بالاغتراب من الماضي والحاضر والمستقبل معا، فيفقد الانسان المغترب التّواصل مع مسار الزّمن كلّه ولا يرى نفسه جزءا منه بل يرى نفسه غريب عن كلّ ما فيه من قيم وأفكار وأحداث تصاغ فيه.

وفي السياق نفسه قيل: «يكون الاغتراب الزّمانيّ بالتّطلع نحو مستقبل واعد، وقد يقتصر على حبّ الماضي»[1]، فأحيانا لا يشعر الإنسان بالانتماء إلى الحاضر فيهرب بأفكاره وخياله نحو المستقبل، وعلى عكس ما ذكرناه قد يكون الاغتراب من خلال التّمسك بالماضي كونه يحمل معنى داخله أو ذكريات جميلة مثلا فيشعر دائما بالحنين لهذا الماضي ما يجعله منفصل عن حاضره ومستقبله ويعيش ضمن زمن قد انتهى.

وهذا الاغتراب «يتمثل في شعور الإنسان بعدم تواؤمه بالعصر الّذي يعيش فيه، فيأمل أن يعيش في زمان غير زمانه وفي خضم التعارض مع مقتضيات الحياة من جهة والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من جهة أخرى، يجد نفسه أمام أكبر العراقيل والعقبات ليتنامى داخله الشعور بالاغتراب فيلجأ إلى الخيال كوسيلة للهروب والرحيل فكريا، وقد تختلف وجهة الهروب إما إلى الماضي، أو إلى الحاضر »[2]، إذ أنّ الاغتراب الزّمنيّ يحدث نتيجة إحساس الإنسان أن هذا الزّمن لا يمثله ولا يستطيع الانسجام معه فنتيجة لهذا يتمنى الإنسان أن يعيش في ماض يحن إليه أو مستقبل يتخيله أفضل مثلا، ليبرز التوتر الداخلي عندما يصطدم بالواقع والأحلام والطموحات من جهة أخرى فيعجز عن مسايرة الواقع، ويهرب إلى الخيال لتجاوز هذا الواقع ويخلق عالما خياليا

1- فاطمه جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر "علي فودة" وردود فعله عليها،ص89.

2- جدي فاطمة الزهراء، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر الشعراء الرواد أنموذجا، مجلة النّص، المجلد08، العدد: 03، 2021، ص525.

يجد فيه في نظره الانتماء والراحة المفقودة في واقعه وحاضره، وهذا الهروب بالخيال قد يكون إلى ماض يمثّل له الحنين، الأمان والانتماء أو مستقبل يرى فيه الأمل والخلاص.

6/الاغتراب المكاني:

يعتبر المكان من الركائز الأساسيّة والمكوّنة للنّصوص الروائيّة، فالمكان ليس مجرد خلفيّة للأحداث وتحديد لمواقعها، بل تجاوز ذلك ليكون له دور محوري في بناء الشخصيات، ويحمل المكان أيضا دلالات رمزيّة تعبّر عن مختلف المشاعر مما يجعله عنصرا فاعلا في البنية السرديّة للنَّص الروائيّ.

وقد ورد التعريف اللّغوي للمكان في "**لسان العرب**" على أنّه «المكانُ والمكانَةُ واحِدُ، لِأَنَّهُ مَوْضِعٌ لِكَيْنُونَةِ الشَّيْءِ فِيهِ، وفي التَّصْرِيفِ مُجْرَى فَعال، فَقالُوا: مَكَّناً لَهُ وَقَدْ تَمكَّنَ، وَلَيْسَ هذا بِأَعْجَبَ مِنْ تَمَسْكَنَ مِنَ المِسْكِينِ»[1].

أما عند "**الفيروز أبادي**" فيرى أن: «المَكانُ: المَوْضِعُ ،الجمع :أَمْكِنَةٌ وأَمَاكِنُ»[2]، فمن خلال هذين التعريفين نجد أنهما يتفقان على أن معنى المكان هو الموضع والموقع، إلا أن "**ابن منظور**" أعطى للمصطلح معنيين معنى مادي وآخر معنويّ، في حين اكتفى "**الفيروز أبادي**" بوضع معنى لغوي أساسي فقط.

ويعرف المكان اصطلاحا بكونه «العالم الذي يكون مسرحا لجريان الأحداث وتحرك

1- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثالث عشر، مادة (مكن)، ص4250.

2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، المجلد1،ص1549.

الشخصيات، وما تحمله تلك الأماكن من علاقات بالحدث، وتأثير على الشخصيات»[1]، مكان هو الفضاء المسرحي الذي تجري فيه الأحداث وتتنقل فيه الشخصيات وتتحرك فيه، فهو ليس مجرد خلفية وموقع جغرافي تساق فيه الأحداث، بل هناك علاقة تربط بين المكان والحدث تتّجاوز كون المكان وعاء تجري فيه الأحداث إلى كونه عنصر أساسي ومؤثر لتسلسل الأحداث وتطورها نفسيا وفكريّا.

أما "**الجرجاني**" فأورد تعريفين لهذا المصطلح هما المكان المبهم والمكان المعَيّن وقال: «المكان المُبْهم: عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر غير داخل في مُسمَّاه كالخَلْف، فإن تسميّة ذلك المكان بالخَلْف إنما هو بسبب كون الخَلْف في جهة وهو غير داخل في مُسمَّاه، والمَكَان المعَيّن: عبارة عن مكان له اسم تسميته به بسبب أمر داخل في مُسمَّاه كالدار وغيرهما وكلها داخلة في مُسمَّاه»[2].

ميّز "**الجرجاني**" بين نوعين من المكان وأعطى لكل تعريف معناه، فالمقصود من المكان المبهم هو المكان الذي يكون غير مرتبط بشيء داخلي يحمله وإنمّا لشيء خارجي يظهره، وأعطى مثال خلف فعندما نسمع هذه التسمية نلاحظ أنّ التسمية اشتقت من جهة خارجية وليس من طبيعة ذلك المكان، أما تعريفه للمكان المعيّن فيقصد به المكان الذي يكون له شكل معروف استنادا على ما يحمله في مكوناته ومميزاته الداخلية نفسها فأعطى لنا المثال وهو الدار فهي تسميّة تطلق على كل ما يخصّ خصائص هذا المكان وكل ما يرتبط بحقيقته وطبيعته.

1- وليد شكار النعاس: المكان والزمان في النص الأدبي(الجماليات والرؤيا) ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص112

2- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص191.

وبالانتقال إلى الاغتراب المكانيّ نجده عرف على أنّه «الانتقال من منطقة إلى أخرى مع ما يصاحب ذلك من شعور بالضياع والبعد والوحشة»[1]، حيث يقصد به الحالة الشعورية التّي تصاحب الإنسان عند تنقله من مكان لآخر مختلف عن الوسط والمكان الذي ألف العيش فيه، فالتعريف لا يقتصر على الموقع الجغرافي فقط بل ما يحسه كل إنسان من حالة ضياع ووحدة وغربة ووحشة، وحنين إلى المكان القديم، وهو حالة نفسية كذلك تجعل الإنسان غريب عن ذاته وبيئته الحقيقة الأصلية وكأنه يتجرد من هويته فهي حالة صعبة على الذات تحتاج إلى صبر وتعود وعلى التأقلم مع طبيعة البيئة.

قيل في السياق ذاته الاغتراب المكاني هو «الشعور بذلك الحس الذي يحاول الإنسان تصويره عندما ينتقل من مكان إلى آخر لتحقيق آماله وطموحاته مصورا تلك البلدان التي أقام فيها، وعندما يدخل تلك البلاد المغتربة يصاب بخيبة الآمال»[2]، بمعنى عندما يخطط الإنسان للانتقال والسفر إلى مكان جديد ينسج في مخيلته صورا مثالية لذلك المكان كالحياة السهلة أو النجاح مثلا، ولكن في الأخير عندما ينتقل إلى ذلك المكان يصطدم بالحقيقة المرّة، المغايرة عن تصوراته الخيالية كأن يجد عائق كبير في التأقلم مع نمط العيش في ذلك المكان ...فهذه الهوة بين أحلامه وتوقعاته والواقع تجعله يعيش في حالة اغتراب مكاني.

المكان عنصر مهم في تشكيل هوية الإنسان حيث تربطه به مشاعر وألفة وانتماء له، ولكي نفهم طبيعة هذه العلاقة بين الإنسان والمكان نحتاج أولا فهم أن الانتماء إلى المكان هو الذي يحدد

1- فاطمة جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر "على فودة "وردود فعله عليها، ص91.

2- المرجع نفسه، ص91.

طبيعة العلاقة بالمكان من ناحية الغربة والألفة، فالمكان الأصلي هو المكان المحوري بالنسبة للشخصية إذا تحققت فيه مطالبها ورغباتها ووجدت فيه.

رابعا: الاغتراب في الأدب:

يعد الاغتراب من أعمق التجارب الإنسانيّة وهي لا تخص مجتمع دون آخر أو الشرق دون الغرب بالعودة إلى تاريخ الاغتراب في الفكر الإنسانيّ نجد أن جذوره ممتدة إلى بدايات ظهور الإنسان، فالاغتراب ليس ظاهرة حديثة إنمّا ظاهرة إنسانيّة قديمة يفقد من خلالها الإنسان انسجام مع نفسه ومحيطه وقيمه وغيرها... وقد تجّلت ظاهرة الاغتراب ابتداء من الخطاب الدّينيّ مرورا بالعصر الجاهلي لينتقل إلى مختلف النصوص الأدبيّة من شعر، وقصّة، ورواية بعدها.

أ/في الشعر:

نجد ملامح الاغتراب بارزة وبوضوح في الشعر كونه أول شكل أدبيّ عرفه الإنسان بعد النصوص المقدسة، فعبّر الشعر بأسلوب فنيّ عن أحاسيس الذات المغتربة وقصائد الشعر الجاهلي تضمنت معاني الاغتراب فهذا "**امرؤ القيس**" أشعاره «كانت في كثير من الأحيان حديث عن الأطلال وبقايا وطنه المهجور وإحساس بالغربة بعد الأنس، وحنينا طويلا إلى ديار أحبابه الراحلين الذين هم بالنسبة له كأبناء الوطن"[1].

" **فامرؤ القيس**" كان يعبر في شعره عن فقدان الوطن والأحبة وشعوره بالغربة وبكاءه على الأطلال.

1- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص15.

"**وعنترة بن شداد**" أيضا صور لنا في أشعاره معاناته من الاغتراب العنصري والعرقي وهذا لسواد لونه وأصوله الحبشية التّي ساهمت في نفيه وإبعاده عن قبيلته فصرح في شعره قائلا:

«المالُ مالُكمُ والعَبدُ عبدُكمُ فَهَلْ عَنا بِك عَنِّي اليَوم مَصْرُوفُ»[1].

وفي شعر عصر صدر الإسلام نجد "**الحطيئة**" يقول في شعره«

مَا كَانَ ذَنْبُكَ فِي جَارٍ جَعَلْتَ لَه عَيْشًا وَقَدْ كَانَ ذَاقَ المَوتَ أو كَرَبا

جَارٍ أَبَيْتَ لِعَوفٍ أَنْ يَسُبَّ بِه أَلْفاهُ قَومٌ جُفاةٌ ضَيَّعُوا الحَسَبَا

أَخْرَجْتَ جَارَهُمُ مِن قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَوْ لَمْ تُغِثْهُ ثَوَى فِي قَعْرِهِ حِقَبا»[2]

فهنا الشاعر "**الحطيئة**" عبر عن إحساسه بالاغتراب الاجتماعي تحديدا عندما أحس بالانفصال وعدم الانتماء لجيرانه الذين لم يحس اتّجاههم بأي تعلّق فهم لم يحسنوا جواره لم يهتموا لوجوده، وهذا ما جعله يحس بالوحدة والعزلة والاغتراب رغم أنّه في وطنه وبين أهله وجيرانه وأحبابه.

وعند الانتقال إلى العصر الحديث والمعاصر نجد ملامح الاغتراب واضحة أكثر وهذا كون الاغتراب كان يمثّل أزمة الإنسان المعاصر فهذا "**بدر شاكر السياب**" عانى من الاغتراب الذاتي والاجتماعيّ والمكاني ويظهر الاغتراب الذاتي من خلال شعور "**بدر شاكر**" بالنقص والرفض في المجتمع « فرغم هيئته الخلقية لم يعجز السياب عن كبح إبداعه الشعري وتصدر المناسبات، وربما

1- عنترة بن شداد: الديوان، تح: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية، القاهرة، دط، دت، ص109.

2- الحطيئة جرول، ديوان الحطيئة، شرح: ابن السكيت والسكري والسجستاني، تح: نعمان أمين طه، شركة مكتبة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط1، القاهرة، مصر،1958، ص135.

عجزه عن التغاضي عن قبح وجهه كان وحده كافي لأن يشكل بؤرة اغتراب حاد»[1]، أي أن "**بدر شاكر السياب**" ورغم معاناته وعدم تقبله لشكله ووصفه لنفسه بالقبيح إلا أن هذا لم يمنعه من التفوق والإبداع الشعري، بل فرض نفسه بقوة في الساحة الأدبيّة أما على الصعيد النّفسيّ فهو لم يستطع تجاوز إحساس عميق بالقبح والرفض من طرف المجتمع ونفورهم منه، ما ولد داخله شعور بالاغتراب النّفسيّ والاجتماعيّ مثّلت هذه المشاعر مركز ألم نفسيّ مستمر ما انعكس على شعره من خلال نظرة الحزن والألم والتّشظي الّتي تميّز بها بعض شعره.

ونجد ملامح الاغتراب بارزة في شعر "**نازك الملائكة**" كذلك، كونها من أبرز رموز الشعر الحر في الأدب العربيّ الحديث فتقول:«

آه لو كان لي هناك كوخ شاعري بين المروج الحزينة

في سكون القرى ووحشتها أقضي حياتي لا في ضجيج المدينة». [2]

عبرت" **نازك الملائكة**" في هذه الأبيات عن رغبتها في اعتزال المدينة والهروب إلى سكينة القرية «كره نازك للمدينة ومقتها لها ألهمها الرغبة في اعتزال المدينة واللجوء إلى سكينة القرية وجبالها على أن استفحال غربتها النفسية ربما كان وراء تجاوزها "غربة المكان"»[3]، هنا يتحدث النّص عن تجربة مشاعر الاغتراب النّفسيّ والمكاني عند "**نازك الملائكة**" إذ أن نفورها من المدينة وانسحابها منها واللجوء إلى مكان ينعم بهدوء وسكينة أكثر، هنا هروب واغتراب مكاني راجع للاغتراب

1-عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب حياته وشعره، دار النهار للنشر، بيروت، دط، دت، بيروت1971، ص 153.

2-نازك الملائكة، ديوان مأساة الحياة وأغنية الإنسان، دار العودة، المجلد، دط، القاهرة،1977، ص151.

3-جدي فاطمة الزهراء، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص529.

النّفسيّ الذي كانت تعيشه وكانت تحاول تحقيق نوع من السلام والتوازن الداخلي للتخلص من مشاعر الاغتراب المكاني التي كانت تسيطر عليها.

ب/في القصّة:

ونظرا للتطور الذي شهده السرد سعت القصّة كونها أحد أهم النّصوص السردية، التي استطاعت استكشاف عمق الإنسان وتمثيل صراعاته النّفسيّة والاجتماعيّة وعلاقة الشخصيات مع من حولها، جعلها وسيلة مثالية لتصوير ظاهرة الاغتراب بمختلف أنواعها.

ونجد ملامح الاغتراب في القصّة منعكسة وبوضوح في قصّة "**رأسان وجسد**" لصاحبتها **ليلى العثمان** وقصة" قوس قزح " **لمحمد عبد الملك** «فعنوان قصة ليلى العثمان "رأسان وجسد" يبدو كافياً لتفسير الثنائية والانقسام بين الذات الحقيقية والذات المظهرية، التّي ليست سوى أداة اجتماعيّة وموضوعيّة، أما عنوان قصّة **محمد عبد الملك** "**قوس قزح**" فهو يعكس حالة المكياج، الألوان القزحية، الّتي يضعها الناس المزيفون في المدينة حتى يحسنوا التهريج، لكن حتماً سيتم افتضاحهم بفعل الضوء والزمن على حد وصف» [1].

يعالج النّص في هذا الصدد عناوين القصتين اللّتين تعكسان فكرة الاغتراب إذ يعبّر عنوان قصة "رأسان بجسد" بوضوح عن حالة الانفصال بين الذات وذاتها الحقيقية، من خلال الإشارة إلى الانفصال بين العقل والجسد وهذا الانقسام والانفصال ليس مجرد تعبير عن حالة نفسيّة إنمّا له بعد نفسي أعمق يتمثّل في الصراع الداخلي وعدم الانسجام بين مكونات الذات.

1-أميرة علي الزهراني، الاغتراب في القصة القصيرة في الجزيرة العربية، ص48.

في حين أن عنوان القصّة الثانية "قوس قزح" لمحمد عبد الملك فيمثّل مفارقة سردية ملفتة فعند قراءة العنوان مبدئيا يوحي باحتفال وزينة في مناسبة سعيدة، لكن عند التعمق في دلالته نجده يخفي واقعا قاسيا ومزيفا يعيشه الناس المهمّشون في المجتمع الّذين يحاولون التّمثيل والتظاهر بالسعادة والراحة رغم الظروف الصعبة.

ت/في الرواية:

وعلى الصعيد العالمي نجد ظاهرة الاغتراب بارزة في الرواية الغربية فترة القرن 19، فهي تعتبر مرآة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية، والتكنولوجية التي شهدها الغرب، فتناولت موضوع الاغتراب كأحد أهم الظواهر الإنسانية التي تعكس أزمة الإنسان المعاصر والحديث في ظلّ التفكك الاجتماعي والتّقدم الصناعي والتكنولوجي، فبدأت الرواية الغربية تصور الإنسان ككائن تائه منفصل عن ذاته والآخرين.

نجد رواية "**الغثيان**" " **لجان بول سارتر jean-paul sartre**" مثّلت لظاهرة الاغتراب عن الذات والهويّة خلال العنوان كمدخل نصي فنجد تجسيد للاغتراب عن الذات حتّى من خلال العنوان وقيل: «هذا النوع من الاغتراب الذي يسبب للفرد شعورا مؤلما بالضيق وعدم الراحة يشبه الغثيان تماما، ويزيد سارتر من حدة هذا الشعور، حينما يجعله شعورا مستمرا يلازم البطل كل لحظة »[1]، حيث أن الحالة الشعورية التّي يكون عليها المغترب عن ذاته تشبه إلى حدّ بعيد حالة الغثيان، فسارتر صور حالة الشخصية البطلة مع الاغتراب من الانفصال عن الذات والواقع على هيئة اضطرابات وقلق وفراغ وانفصال دائم ومستمر، يجعله يعيش بدون معنى ويطغى عليه في

1-نجلاء مصطفى غراب، الهوية والاغتراب بين الفلسّفة والأدب، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، العدد68، 2023، ص198.

كل لحظة فتصبح تفاصيل حياته مصدر غثيان له، وبهذا يكون عنوان الرواية تجسيد لحالة الاغتراب الموجودة في الرواية.

ونجد في نموذج آخر من النصوص الغربية رواية "**الغريب**" " **لألبير كامو Albert Camus"** التّي عالجت نوع الاغتراب الوجودي كما طرح قضية الهوية كذلك، يتضح لنا من خلال عنوان "**الغريب**" أنّه « يمثّل مدخلاً مهماً، عبّر تعبيراً جيّداً عن هذا النوع من الاغتراب، وهو الاغتراب عن الذات، الذي يصبح في ضوئه الفرد منفصلاً عن كل ما حوله، وقد زاد كامو من حدة هذا الشعور، عندما ربطه بالشعور باللاّمبالاة »[1]، فمن خلال عنوان الرواية يتضح لنا بأنّها تعالج ظاهرة الاغتراب في مضمونها وأن العنوان كونه عتبة نصية مهمّة في النص وهو مفتاح القضية الأدبية كلها، وهنا نستنتج من خلال العنوان أن الرواية تتناول نوع الاغتراب الذاتي الذي يدفع الشخصية الروائية بالشعور بأنّها غريبة عن نفسها ولا تعرف ذاتها الحقيقية فتتطور حالة الاغتراب هذه إلى حالة من اللاّمبالاة بكل ما يحدث إطلاقا ولا تتأثر بأيّ شيء.

خامسا: الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة:

كان للاغتراب كظاهرة ومصطلح حضور بارزا في الأدب العربي سواء في الشعر، القصّة القصيرة أو المسرح، والأدب عامة كما ذكرنا سابقا لكن الاغتراب أخذ مساحة أكبر في نوع الرواية نظرا للطبيعة السردية للرواية التي تمكن الروائي من التّعبير عن مشاعر الوحدة والضياع والغربة والتهميش، وأحيانا حتّى تجاربهم الشخصية ومعاناتهم الخاصة في ظلّ التحوّلات الكبرى والسريعة التي شهدها العالم العربي من استعمار وهجرة واستبداد وصدام بين الحداثة والعولمة والتراث والتقاليد.

1-نجلاء مصطفى غراب، الهوية والاغتراب بين الفلسّفة والأدب، ص209.

ونظرًا للثراء والتنوع الذي عرفته الرواية العربية استطاعت أن ترصد هذه الظاهرة من زوايا متعدّدة، فهمت الرواية العربية لتصوير الإنسان المغترب داخل الوطن وحتّى المهاجر والمنفي وصورت أيضا ذلك الانشطار والتّمزّق النفسي لذلك الإنسان الذي يشعر بالغربة وأنه غريب عن ذاته.

ولعل ما يجعل من موضوع الاغتراب موضوع مهمّا ومحوريا في الرواية العربية هو كونه انعكاسا لأزمات مجتمعية سياسيّة وثقافيّة وغيرها...، ناتجة عن مراحل مفصلية في التاريخ العربي، فنجد الروائيّين العرب جسدوا ووظفوا ظاهرة الاغتراب في أدبهم، ولعلّ أبرز من مثل هذه الظاهرة في الرواية العربية الروائي "**الطيب صالح**" وروايته "موسم الهجرة إلى الشمال" 1966 التّي مثلت « رواية التمرد الفردي في محاولة بائسة للتغلب على حالة الاغتراب والنفي وبعد ذلك صنّفتها على أنّها أيضا رواية العودة إلى الماضي»[1]، أي رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" ماهي إلا تصوير لتمرّد الفرد ولحالة الاغتراب، ويقصد هنا برواية العودة إلى الماضي إشارة إلى الصراع النفسيّ الموجود في الرواية القائم بين الثقافة الأصلية للشخصية البطلة والتأثيرات الغربية أي ما يسمى بصراع الهوية.

كما نجد رواية "**نهر الجنون**" "**لتوفيق الحكيم**" «عالجت ظاهرة الاغتراب، وذلك عندما كان الشخص يشرب من ذلك النهر ويصاب بلوثة تجعله غريبا في نظر المجتمع الذي يهزأ منه وينتبذه ويبتعد عنه...، كان يعيش مغتربا عن ذلك المجتمع الذي ينتمي إليه ولا ينتمي إليه»[2]، أي اتّضحت ظاهرة الاغتراب هنا عندما شرب مجموعة من الناس من نهر الجنوب، وفي حين رفض

1- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، ص150.

2- أحمد مشاري العدواني، الاغتراب، مجلة الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد العاشر، العدد الأول،1979، ص12.

شخص أن يصبح مثلهم واعتزلهم فعانى بسبب هذا من ألم الاغتراب إلى أن قرّر في الأخير الاندماج معهم وشرب من النهر نفسه.

تعتبر رواية "**تجيب محفوظ**" "**ثرثرة فوق نهر النيل**" المنشورة سنة 1966م « من بين الروايات التّي تصور تغيّر الإنسان في حالة الاغتراب وهروبه من الواقع بدلاً من الكفاح والسعي لتغييره...فتلجأ شخصيات ثرثرة فوق نهر النيل هرباً من الواقع إلى دوامة لتمارس الإدمان بشكل طقوسي»[1]، إذ أن "**تجيب محفوظ**" في روايته هذه عبّر عن معاناة الناس عامة والمثقفين، والنخبة على وجه الخصوص من إحساس بعدم الانتماء والتخلي عن المبادئ والقيم في المجتمع المصري ما ساهم في تعرية والكشف عن الجانب السلبي للفرد المصري الذي فضل الهروب عن المشاكل التي يعاني منها بدل مواجهتها والسعي لحلها، فهذا النوع من الاغتراب الذي طرحه وسعى لمعالجته هو نوع الاغتراب السياسي.

ويقول الروائي المصري "**إدريس**" عن روايته "البيضاء" «عندما كتبت رواية البيضاء وكنت أريد أن أكتب تاريخ هذه الفترة من حياتي لأن أحد الإحباطات الكبرى التي حدثت لي، عندما دخلت السجن لأني كنت أعتنق الشيوعية، كنت على استعداد للموت في سبيلها، ورأيت تصرفات الكبار والزعماء، وقبل ذلك كنت قد سافرت إلى بلاد الديموقراطية الشعبية، أن هناك اختلاف كبير جدًا بين القول والفعل، وبين النظرية والتطبيق حدث لي نوع من خيبة الأمل»[2]، فـ"**يوسف إدريس**" هنا في روايته يعبّر عن تجربة شخصية إذ دخل إلى السجن، وأدرك مدى قربه من الموت ما يعكس تجربة إنسانية عميقة تتعلّق بالتأمل في المصير كما أن تعمقه وتركيزه على آراء وسلوك

1- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، ص149.

2- أحمد بدوي، شهادة يوسف إدريس في الفن الروائي من خلال تجاربهم، مجلة فصول، مج2، العدد2، 1982، ص234.

ومواقف بعض القادة، والمفكرين المتناقضة أثر في نظرته لهم، في حين أن سفره إلى بلدان أكثر حرية وديموقراطية كشف الفجوة الكبيرة بين ما يقال نظرياً ويطبق فعلياً، ما جعل وعيه بالتعقيدات السياسية والاجتماعية تتعمق أكثر وتتضح، إذ عبر عن الخذلان وخيبة الأمل والفراغ الموجود بين المثالية والواقع، وبين القيم المنادى بها، وما هو موجود في الواقع .

والرواية الجزائرية هي الأخرى عرفت الاغتراب في وقت متأخر نوعاً ما مقارنة بالرواية العربية، وهذا نظراً للظروف السّياسيّة والواقع الاجتماعيّ والثّقافيّ الذي مرّت به الجزائر، وتعدّ رواية "**ريح الجنوب**" لعبد **الحميد بن هدوقة** أوّل رواية جزائرية مكتوبة بالعربية، وأول رواية جزائرية مثلت ظاهرة الاغتراب في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، حيث تجلّت مظاهر الاغتراب في شخصيات الرواية وصراعها مع الواقع الاجتماعي والتقاليد، إذ تبرز لنا الرواية فقدان الانسجام بين الفرد ومجتمعه ما أدى إلى الشعور بنوع من الغربة الداخلية والتمرد.

لعلّ ظاهرة اغتراب المثقف أكثر ما كتب فيها الروائيين الجزائريين، وذلك نتيجة التحوّلات الخاصة التي عاشتها الجزائر حيث أصبحت «تيمة اغتراب المثقف إحدى التيمات التّي اشتغل عليها الروائيون الجزائريون»[1]، فـ"**بشير مفتي**" بصفته روائي عانى من الغربة الذاتية نظرًا للواقع المؤلم الذي عاشه سنوات التسعينات، فيقول "**بشير مفتي**":«وحدي أعرف ذلك، أعرف أن الكاتب يعيش وحده أي مع نفسه وأشباحه»[2].

1-جمال سنوسي، اغتراب المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة أرخبيل الذباب لبشير مفتي أنموذجا، مجلة اللّغة الوظيفيّة، المجلد :7، العدد1، 2020، ص220.

2-بشير مفتي، سيرة "طائر الليل" نصوص وشهادات أسئلة منشورات، منشورات الاختلاف الجزائر،2013، ط1، بيروت، لبنان، ص196.

كما نجد الاغتراب يظهر في الرواية الجزائرية أيضاً في «رواية الدروب الشاقة "**المولود فرعون**"، إذ تنوعت صورة الاغتراب عند شخصية البطل وهي ثلاث أشكال: الاغتراب الذاتي عند البطل، اغتراب البطل عن المجتمع، واغتراب البطل عن الوطن، إذ جسد الكاتب في روايته هاته حالة الاغتراب التي عاشها الفرد الجزائري بمختلف أنواعه»[1].

و"**واسيني الأعرج** " هو الآخر عالج في كتاباته ورواياته ظاهرة الاغتراب مثل: رواية سوناتا لأشباح القدس ورواية كريماتوريوم، والتّي في محتواها «الغربة والاغتراب والبحث عن الهويّة انطلاقا من عالمين متناقضين عالم الشرق والغرب ما شكل أزمة تشظي للهوّية بين العالمين، نظرًا لعمق انعكاس فقدان الهوية»[2]، وفعل فقدان الهويّة هذا يعود إلى الاستعمار الفرنسي الّذي سعى لطمس الهويّة الجزائرية.

فيمكن القول أنّ الاغتراب في الرواية العربية عامة والجزائرية على وجه الخصوص ليس مجرد موضوع أدبيّ بل هو مرآة للتحوّلات العميقة التي شهدتها المجتمعات العربية، فجسَّد الروائيون العرب أزمات صراع الهوية واغتراب المثقفين والصراع النفسي والاجتماعي في أدبهم من خلال تقديم نماذج متعدّدة جسدتها شخصيات الرواي

1- حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص103

2- قمرة عبد العالي، الغربة والاغتراب والبحث عن الهوية في رواية "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس" لواسيني الأعرج، ت ن:جامعة باتنة، ط1، د ت، ص3.

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في البنية السردية لرواية الوداع الأخير

1/ ملخص للرواية.

2/ العنوان كعتبة نصّية ودلالة بنيويّة.

3/تحليل الشخصّيات الرّئيسيّة وعلاقتها بالاغتراب.

4/ الزّمن والمكان كعاملين منتجين للشّعور بالاغتراب.

5/ أدوات تشكّيل الاغتراب في النّص الروائي.

6/ مظاهر الاغتراب.

الفصل الثّاني: تجلّيات الاغتراب في البنية السردية ل رواية الوداع الأخير

ارتأينا في بداية هذا الفصل بضرورة تقديم ملخص عام للرواية، حتّى نقدّم للقارئ نظرة شاملة ومختصرة عن أحداث الرواية وشخصيّاتها، تعينه على فهم الإطار العام للنّص قبل الولوج إلى التّحليل المعمّق.

1/ ملخص الروايـة :

تدور أحداث رواية "**الوداع الأخير**" حول شاب يُدعى "**ورد**" يحكي عن ذكرى زوجته الرّاحلة "**نور**"، حيث تبدأ القصّة عندما راح "**ورد**" يحكي عن لقائه الأول بـ " **نور**"، أين كان مفتونًا بجمالها، كما تحدث كيف أضاءت " **نور** " حياته وأخرجته من الظلام الّذي كان فيه بعد أن تخلى عنه الجميع، فبوجودها عرف "**ورد**" معنى الحياة الحقيقيّ، ثم راح يستعرض "**ورد**" ذكرياته مع "**نور**" من لحظات جميلة وقاسية كما كان يتأملها كثيرا وكأنّه يعلم أنّها سترحل دون عودة، محاولاً حفظ كلّ تفصيلة في وجهها.

ثمّ عاد "**ورد**" ليكشف خلفيّته الصعبة إذ نشأ في حيّ القصبة بالجزائر، فقد "**ورد**" والديه في حادث سيارّة وهو صغير، فجدّه الّذي حاول إرشاده نحو الطريق الصّحيح توفّي أيضًا بعد بضعة أشهر تاركاً **ورد** يتيمًا مرة أخرى، ثم بعد وفاة **جدّه** بقي "**ورد**" مع **زوجة جدّه** التّي لم تحبّه وطردته من البيت كون والده لم يكن ابنها بل ابن زوجها وأرسلته للعيش مع **عمّه أحمد** بمدينة وهران، أين عاملّه **عمّه وزوجته** وأبناء عمّه بقسوة ودمرّوا طفولته وحياته بعد أن تخلّى عنه أقرب النّاس إليه، فتعلّم "**ورد**" من كل هذا الألم والقهر كيف يصبح أقوى، وكيف يتعامل مع مصاعب الدنيا، فقرّر الاجتهاد والدراسّة وفعلا كان له ذلك نجح وحصل على منحة للدراسّة في تركيا وسافر إلى تركيا تاركا كلّ شيء خلفه، أين تعرف على "**نور**" الّتي عاشت

حياة صعبة أيضًا هي الأخرى فوالدها كان يقيم مع زوجته الثّانية في مكان آخر، وعانت من الفقر والإهمال من طرف والدتها.

التقى "**ورد** بـ **نور**" في الجامعة في تركيا الّتي كانت سببًا في تغيّير حياته نحو الأفضل إذ كانت تُذكره باللّه وتحثّه على الصبرّ والإيمان بالله، وبفضلها واقترب من الله، وبعد فترة قرّر "**ورد**" التقدم لخطبة "**نور**" فاتصّل بوالدها وتمّت الخطبة بسلام بعد عدّة عراقيل واجهتهم، وكان هذا اليوم الأجمل في حياة "**ورد**" كما وصفه.

بعدها تزوّج "**ورد** و**نور**" ورزقهما الله بطفلة سمّياها" **وعد**"، وعاشوا كعائلة صغيرة وسعيدة في بيت بسيط، كانت لهم ذكريات جميلة فيه مع ابنتهم ولكن مع مرّور الزّمن تحوّلت السّعادة إلى مأساة عندما توفيت "**نور**" في حادث سيّارة خطير، الخبر الّذي نزل على "**ورد**" كالصّاعقة والعاصفة الّتي قلبت حياته، عاد "**ورد**" إلى الجزائر من أجل مراسيم الدفن والجنازة، وبعد أيام من وفاة "**نور**" ترك "**ورد**" ابنته "**وعد**" ورحل عائداً إلى تركيا سرّاً دون أن يودعها أو يأخذها معه، بعد أن دخل في فترة من الحزن العميق والوحدة والعزلة في تركيا استمرت لعامين، إلى أن عاد في أحد المرّات لقراءة دفتر يوميّات "**نور**" فبدأ بالتّعافي عندما وجد وصيّتها له، وصية "**نور**" كانت تحث "**ورد**" **على** الاعتناء بابنتهما وقرّر أن ينفذ وصيّة "**نور**" ويبحث عن "**وعد**"، فذهب للبحث عنها في دور الأيتام في العاصمة لعدّة أيام لكنّه لم يجدها، وظلّت رحلة البحث عن "**وعد**" مستمرة في نهاية الرواية، وختم "**ورد**" كلامه مؤكداً على تمسّكه بالإيمان والصبرّ وأن ينفذّ وصيّة "**نور**"، وعبّر عن يقينه أنّه سيجدها يوماً ما وسيحكي لها قصّته وقصّة "**نور**" وكيف جمعهما الحبّ والصبرّ، وفي الأخير يختتم بآية:« **وبشّر الصّابرين**»، مؤكدّاً على إيمانه وبأن الله سيكافئ الصّابرين وسيجبر خاطره ويجمع شمله بابنته.

2/العنوان كعتبة نصّيـة ودلالـة بنيويّـة :

يعتبر العنوان في النّص الأدبيّ الحديث والمعاصر عنصرا أساسيّا وجوهريّا لا يمكن التّخلي عنه في البناء العام للنّصوص لأنّ أوّل ما نلاحظه كقراء ويلفت انتباهنا عند بداية قراءة أي نصّ أدبيّ هو العنوان، إذ يعرّف "جيرار جينات" **Gérard Genette** "العنوان على أنّه: «مقدمة فضاء النّص المحيط وإلى جانبه العناوين الفرعيّة والداخليّة للفصّول والمقدمة»[1]، فـ "جيرار جينات" ينظر للعنوان ككيان حرّ وعتبة نصيّة قائمة بذاتها، ومنفصل عن النّص الّذي يأتي بعده، بل العنوان يترأس هذا النّص ويدّل على ما جاء فيه.

يعرّف من وجهة نظر أخرى بكونه:« نظاماً سيميائيا ذا أبعاد دلاليّة، وأخرى رمزيّة، تغري الباحث بتتبُّع دلالاته ومحاولة فكّ شفراته الرّامزة»[2]، أي أنّ العنوان ليس مجرد كلمات توضع على النّص إنَّمَا هي مجموعة كلمات تتكوّن من مجموعة علامات وإشارات تُكوّن لنا معنا دلاليّا يعكس معاني داخليّة للنّص، ويكشف لنا أيضا عن محتواه ويشير لنا إلى حدث معيّن أو فكرة معيّنة، وأيضاً يحمل معاني خفيّة لا يمكن فهمها إلا عند التعمّق في تفسيرها والتأمّل فيها بشكل دقيق، ليشدّ القارئ ويجعله يحاول فهم محتوى النص، والتّعرف على الإيحاءات الدلاليّة للعنوان ويجعلنا نتساءل، ما علاقة العنوان بالنّص؟ فكلّ هذا نتوصل إليه عندما نقوم بفك هذه الثغرات ونبحث عن اللّغز الحقيقيّ وراء اختيار الكاتب لهذا العنوان وما المراد الذي يسعى الكاتب إيصاله للقارئ.

يكتسي العنوان أهميّة جعلته يعدّ عتبة نصية قائمة بذاتها، لا مجرد عنصر ثانوي كما كان سابقاً، ومن النقاد الذين اهتمّوا بالعنوان الناقد الأدبي "**علي جعفر ازدياد**" حيث رأى أن أهميّة العنوان تكمن في

1- بلقاسم دفة، علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي والملتقى الوطني الأول، السيمياء والنّص الأدبي منشورات الجامعة، قسم الأدب العربي، بسكرة، 2000، ص41.

2- بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، وزارة الثقافة (إربد – الأردن)، ط1، 2001، ص33.

«كون علاقته بالنّص أصبحت بالغة التّعقيد وإلى امتلاكه طاقة توجيهيّة»[1]، أي أنّ العنوان لم يعد ينظر إليه كعنصر بسيط يقدم فكرة عن النصّ، فقد أصبح له دلالة فهو يحمل رموز وإيحاءات كما أصبحت له القدرة على توجيه القارئ نحو فهم معين.

2-1 العنوان في إحالة على ذاته :

عنوان الرواية الّتي نحن بصدد دراستها "**الوداع الأخير**" هو عبارة عن جملة اسميّة تتكون من وحدتين لغويتين مترابطتين مبتدأ "الوداع"، ونعت "الأخير"، والخبر محذوف مثلا (الوداع الأخير كان موجعا).

لفظة الوداع جاءت من الفعل "ودّع " وهو مصدر يدل على حدث وفعل، وهو فعل التوديع أو لحظة فراق، أما لفظة "الأخير" فهي مشتقة من "أَخَرَ" وهي تدّل على النهايّة.

وعلى المستوى الدلاليّ نجد العنوان يحمل دلالة قوية فكلمة "الوداع" تحيل إلى فعل الفقد والانفصال والفراق والابتعاد أو التّغرب عن مكان ما أو انقطاع بين أفراد وأحباب، والرّحيل أو السفر لبلد آخر وعالم جديد، حياة مختلفة وبيئة مغايرة كما تدّل على النهاية وتحيل إلى لحظة شعوريّة مرتبطة بالحزن والتّخلي وبنهاية زمنيّة حاسمة وانفصال لا يعقبه لقاء وهو الموت، أما كلمة "الأخير" فدلت على ترتيب زمنيّ، ووصفت هذا الوداع بأنه أخير أي **الوداع الأخير** الذي لا لقاء ولا وداع بعده وتضفي له طابعاً نهائيا وليس له مدة مؤقتة وغير قابل للتكرار ما يؤكد ميزة الحسم والقطيعة، وما يضفي عليه ثقلا شعوريًا، فنجد الإعراب يتفق مع الدلالة فكلمة "الأخير" جاءت كصفة تقيّد وتصف هذا الوداع بأنه أخير.

اختارت "**سمية غربي**" وضع عنوان مباشر، موجز ومكثّف ما أضفى قوّة وتأثيرا في نفسيّة المتلقي وفتح آفاقا تأويليّة في ذهنه، كما جاء العنوان بأسلوب كنائي أي عنوان يطرح المعنى بأسلوب إيحائي،

1-علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1997، ص173.

"**فالوداع الأخير**" هنا لا يوحي بلحظة وداع عادية بل جاء كرمز يلامس حالة فقد دائمة وهي الموت، رغم أنه لم يذكر الموت بصراحة وبأسلوب مباشر، فمن خلال التّأمل في العنوان وتحلّيله من الجانب البلاغيّ نجد العنوان جاء ككناية عن الموت.

2-2 العنوان في إحالته على متن الروايـة:

بالانتقال من التّحليل اللغوي للعنوان إلى التّحليل السياقيّ التأويلي، وبعد الغوص في مضمون الرواية والتأمل في أحداثها، يتضح لنا أن أحداث الرواية تتطابق مع توقعاتنا لدلالة عتبة العنوان، فدلالة العنوان قريبة إلى حّد بعيد من المجريات السرديّة للرواية فمنذ البداية تبيّن لنا أنها تتناول حالة اغترابية حادّة، وهو ما برز فعلا من خلال الشخصيّة البطلة "**ورد**" الّذي عانى من طفولة قاسيّة كما عاش أيضاً خيبات ومعاناة حتّى من أقرب النّاس له أي أقاربه، هذا ما زاد من عمق شعوره بالاغتراب، حيث تبيّن لنا أحداث الرواية أنّ "**الوداع الأخير**" لم يمكن مجرد وداع عادي بالنسبة للشّخصيّة البطلة "**ورد**" بل هو سلسلة من الوداعات عاشها في مراحل زمنيّة من حياته والتّي ولدت شعور بالاغتراب بمختلف أنواعه.

يحمل عنوان "**الوداع الأخير**" كثافة دلالية، تجعل المتلقي يحسّ بأحداث هذه الرواية فالوداع عادة ما ترافقه أجواء مشحونة بالحزن وقد يكون مرتبطا بمأساة، وهو ما تجسد فعلا في محتوى الرواية ونجد من متن الرواية هذه العبارة الّتي تؤكد أن "**ورد**" يعيش مأساة إذ جاء على لسانه: «حقا هو احساس موجع وقاسٍ للغاية خصوصا إذا تتالت عليك ضرباته وطعناته لك دون أن يتوقف»[1]، وهذه المأساة هي حالات الفقد تلك المستمرة، فظهر العنوان مرتبط بلحظات مفصليّة من حياة "**ورد**" وهي فقدانه لوالديه، و**جدّه** ثمّ زوجته **نور**، وحالة الفقد هذه وكلمة "**الأخير**" لها دلالة نفسيّة إذ تخلق نوع من الفراغ العاطفي لدى الشّخصيّة التّي تحمل

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص123.

في داخلها إحساس بالحزن والضياع والوحدة ما يجسّد انفصالا وانقساما داخليّا بين ما كانت عليه الذات قبل هذا الوداع والفقد وبين ماهي عليه بعده.

كما اتخذت دلالة العنوان بعدًا وجودًيا إذ لم يكن هذا الوداع وداعا لمكان أو شخص فقط، بل مثّل انقطاع عن الجذور وانسلاخ عن الهوية وهذا ما يتناسب مع تيمة الاغتراب التّي تتحكم في الرواية، حيث يعيش "**ورد**" قطيعة مع واقعه فكان هذا الوداع وداعا لكلّ الأماكن والعلاقات، التّي لم تعد تمثّل له الانتماء ولم تمنحه الأمان الّذي يحتاجه، فهو وداع لكلّ ما ارتبط به وجوده السابق.

مهد العنوان للمسار التراجيدي الّذي تميزت به الرواية، فمنذ البداية يضعنا العنوان أمام توقع مسار مأساوي لأحداث السرد، وهو ما انطبق فعلا على متن الرواية فقد شهدنا سلسلة من الوداعات تمثّلت في ابتعاده عن وطنه وهجرته، وأيضا تمثّلت في لحظات الفقد تلك، فقده لوالديه وجدّه وزوجته.

والعنوان في إحالته على متن الرواية نجده تجاوز وظيفته كاسم وتحول إلى بنيّة دلاليّة عميقة تختصر مأساة "**ورد**" كما نجده يجسدّ حالة الاغتراب، الفقد، والانفصال التّي تحكم الرواية.

3/تحليل الشخصّيات الرّئيسيّة وعلاقتها بالاغتراب :

يُشكّل الاغتراب محورًا أساسيًّا في رواية "**الوداع الأخير**"، حيث تتجلّى ملامحه في الشخصّيات الرئيسيّة الّتي تعيش تمزقًا داخليًا وقطيعة مع الآخر والمجتمع تارة، وتواصلا واندماجا تارة أخرى، وبتحليلنا لهذه الشخصّيات سيتوضّح لنا كيف شكّلت العزلة، والفقد، والحنين إلى الانتماء جوهر تجربتها الوجوديّة، وكيف اختلفت مواقفها بين الانغلاق على نفسها في بعض المراحل والانفتاح في مراحل أخرى، وكيف تراوحت بين الاستسلام والمقاومة، وسنكتفي بتحلّيل الشخصّيات الرّئيسيّة في الرواية وهم "**ورد**" باعتباره

شخصّية تائهة تبحث عن المعنى والانتماء في واقع يفتقر إلى الأمان والثبات، و"**نور**" التّي عاشت فراغ عاطفي في صغرها.

3-1 شخـصّيـــة ورد :

جسّد "**ورد**" دور الشخصية البطلة في الرواية، عانى منذ طفولته وتعرض لسلسلة خسارات مؤلمة بدأت بوفاة والديه، ثم فقدان الجدّ الّذي كان له بمثابة الشعلة الأخيرة من الحنان في حياته بعد فقد والديه، حاول رعايته وتوجيهه دينيًا وإنسانيًا، لكنه توفّي سريعًا، ما عمّق جراحه وأضاف خيبة أخرى إلى سلسلة الفقد الّتي تعرض لها. فعلاقة "**ورد**" بجدّه مثّلت تواصلاً صادقًا، إذ كان لجده دور أساسي في تعليمه أمور دينه وتشجيعه على الاقتراب من الله وقد ورد في الرواية ما يؤكد ذلك على لسان "**ورد**" :« كان جدي يفرح لأسئلتي للغاية ليقرّر أخذي للمسجد دون علم والداي، كان المسجد قريبا من البيت في رأس الحي الذي تعيش فيه عائلة والدي كنا نمشي تلك المسافة ونحن نقرأ الأدعية والأذكار أو بالأحرى كان جدّي من يقرأ وأنا أعيد وراءه الكلمات فقط »[1].

لكنّ هذا التواصل لم يدم بسبب موته المبكر الّذي عزز فكرة الاغتراب في ذاته من خلال خسارة مصادر الأمان في عمر مبكر، وهذه المعاناة لم تتوقف عند حدود الماضي، بل ازدادت حدّة بعد رحيل زوجته **نور**، الّتي كانت له ملاذًا وملهمًا له.

فأصبح منفصلا عن العالم من حوله، "**فنور**" التّي كانت سبب في عودته للحياة الطبيعيّة وهذا بدليل قوله الّذي جاء في مقطع من الرواية وهو يصف دورها في انتشاله من عتمته ووحدته «قلعت قلبي المسجون داخلها والمحكوم عليه بالمؤبد طوال حياته، قلبي الذي قمتِ بتحريره وإخراجه من قوقعته وجعلته

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص23.

سعيدا وفرحاً ومطمئنا بوجودك ، أحييت أرضه القاحلة وحديقته الميّتة وأخرجته من القاع الذي كان فيه .»[1] كانت سببا أيضا في تعميق جرحه وقطيعته لكلّ ما حوله بعد أن ماتت، وعلى إثر ذلك تخلى عن ابنته الوحيدة "**وعد**" في مشهد يجسّد انفصاله التاّم عن الذات والآخر، ثم عاد تدريجيًّا للتّواصل بعد قراءة دفتر "**نور**"، وبعد تولد وعيّ جديد عاد للتوّاصل مع الجميع وقرّر البحث عن ابنته والعيش معها.

أما علاقته مع عمّه وزوجته فهي تجسيدً واضحً وصريح للانفصال العاطفي والقطيعة داخل نطاق الأسرة، وما يؤكد هذا من الرواية هذا المقطع في حديث "**ورد**" عن عمه وعائلته:« تخلصت من عمي وزوجته وأولاده الذين قاموا بتحطيمي وتدمير حياتي كل هذه السنوات بتعذيبي وإيلامي وقهري وجعلي جسدا بدون روح وروحا بدون حياة»[2]، حيث لعبا دورًا سلبيًا في حياة "**ورد**" بعد وفاة والديه وجدّه، ووجودهم كان بمثابة عامل معمق لشعور الاغتراب داخله، فأثقلوه بالمعاملة القاسية والتّهميش، مما عمّق شعوره بالرفض والنبذ إذ لم يجد له مكانا داخل العائلة أو حتّى المجتمع، ولم يقتصر دور عائلة عمّه في شعوره بالاغتراب على البعد العائلي فحسب، بل امتدّ ليشمل غياب الرحمة والبعد عن القيّم الدينيّة والإنسانيّة الّتي كان من المفترض أن تسود العلاقة، غير أن الرواية تمنح، في نهايتها، بريق أمل من خلال تحوّلهما الظاهر، إذ يبدوان نادمين، راغبين في فتح صفحة جديدة، حيث جاء في الرواية "**ورد** وهو يعبر عن فرحته بلقائهم ومصالحتهم: «كان ذلك اليوم غريبا فعلا وجميل في نفس الوقت فمن كان سيقول أنني سأتصالح مع عمي وزوجته وسنضحك ونتحدث مع بعض ونأكل في مائدة واحدة»[3]، حيث تحوّلت علاقته معهم من قطيعة وانفصال نفسيّ ومكانيّ إلى نوع من التوّاصل، أما من ناحية علاقاته مع أصدقائه (يوسف، بسمة، حسن) فقد كانت في الغالب **غير** عميقة، لكنّها ساعدته في العودة إلى الحياة لاحقًا.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص7.
2- المصدر نفسه، ص201.
3- نفسه، ص307.

نخلص إلى القول أنّ علاقة "**ورد**" بالآخر والمجتمع عامة ميّزها نوع من الاضطراب والتذبذب، ونوع من القطيعة والانفصال والتّواصل عبر مراحل مختلفة فهناك شخصيات ثانوية محيطة "**بورد**" زادت من غربته (عائلته القاسيّة: زوجة جدّه، وعمّه وزوجته وأبناؤه، والد نور السيّد كامل)، (فقده لأحبائه: والديه، جدّه، زوجته نور) وهناك شخصيّات خففت من حدّة غربته (نور، وعد، جدّه، يوسف صديقه)، فنلاحظ أن الرواية تحركت بين قوى متضادة ما جعل رحلة "**ورد**" نحو التعافي مشوقة ومتقلبة.

3-2 شخصيّـة نور:

تعدّ "**نور**" من الشخصيات المحورية الّتي تمثّل بعدا مهمّا في تحليل تيمة الاغتراب في الرواية هي الأخرى، حيث مثّلت المرأة التّي تعيش في هامش المجتمع وتعاني من قيود ثقافيّة واجتماعيّة، فهي تبدو في ظاهرها شخصيّة متزنة ومضيئة، تحمل طابعًا روحانيًا وهدوءًا داخليًا يشعّ على من حولها، إذ وردت في الرواية هذه العبارة التّي يصف فيها "**ورد**" كيف كانت علاقة "**نور**" بمن حولها حيث قال:« كانت يمامة كل الناس ولجميع الناس، الملجأ والمأوى والمأمن والمرفأ، الصاحب والرفيق والمؤنس»[1]، هذا المقطع يؤكد انفتاح نور على المجتمع وعلاقتها المتسمة بالتواصل مع محيطها طيلة مراحل حياتها وكانت بمثابة النور لمن حولها، لكنها تخفي خلف هذا النّور في أعماقها جراحًا عميقة خلفها غياب الأب، وبرود الأمّ، فعلاقتها مع **والدها الأستاذ كامل**، الّذي ظهر كشخصيّة تجمع بين الاتزان الدينيّ والثّقافيّ، غير أن حضوره العاطفي في حياة ابنته كان شبه معدوم، إذ اختار العيش مع زوجته الثانية بعيدًا عن ابنته، ما أوجد بينه وبيّن "**نور**" نوعًا من القطيعة غير المعلنة، أما والدتها السيّدة **مروة** فرغم بقائها إلى جانبها، إلا أن وجودها بدا باهتا وغير فعّال، غائبة عن منح "**نور**" الحنان والدّعم النّفسيّ الّذي كانت بحاجة إليه، وهذا الموضع من الرواية يصف تقصير السيدة مروة أم "**نور**" في حقها: « كيف ستعيش الآن بندمها وتأنيب ضميرها على تقصيرها

1 – سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص62.

في حق ابنتها وإهمالها، وعدم سماع مشاكلها وأحزانها وتركها تكتم كل شيء داخلها لتكبر معقدة وحزينة ويائسة من الحياة، منعدمة الحنان والأمان وعظيمة الثقة بالنفس والشخصية القوية، لتواجه الدنيا وهي أصلا مكسورة من قبل والديها ومنحنية الظهر كذلك»[1]، هذا الإهمال العاطفيّ من الطرفين خلق في داخل "**تور**" فراغًا كبيرًا وشعورًا داخليًا بالتّمزق، وجعلها تبحث عن الانتماء والدعم في أماكن أخرى، ورغم أن حضورهما في الرواية ليس مركزيًّا، إلا أنّ أثرهما النّفسيّ في تكوين شخصيّة "**تور**" كان واضحًا وعميقًا.

بالرغم من الانفصال الروحي والنفسي الّذي عانته "**تور**" في علاقتها بوالديها، إلا أنّها لم تستسلم لذلك، بل جعلت منها حافزا واختارت أن تكرّس حياتها لإنقاذ الآخرين من ضياعهم لا سيما الفتيات، وإعادتهم إلى طريق الإيمان والصّلاح، ما يؤكد أن علاقتها مع الآخرين والمجتمع كانت علاقة تواصل مستمرة، أما علاقتها مع الشخصّية البطلة "**ورد**" فمثّلت بالنسبة له الملجأ الوحيد، وكانت علاقتها به من أكثر الروابط الإنسانيّة عمقا واستمراريّة إلى غاية وفاتها، فعلاقة "**ورد**" و"**تور**" تميّزت بالتواصل والعمق، علاقة خفّفت من حدّة الاغتراب لتصبح في الأخير سبب في إحياء جروح "**ورد**" القديمة وعاملا محفز للاغتراب بعد وفاتها.

4/ الزّمن والمكـــان كعاملين منتجيــن للشّعور بالاغتــراب :

4-1 الـزّمـــن :

يلعب الزمن دورا محوريا في الرواية تجاوز الدور السردي التقليدي المتمثّل في تأطير الأحداث وترتيبها زمنيّا/ ليصبح أداة فنيّة تساهم في الكشف عن أعماق الشخصيات الروائية وتطوّراتها النّفسيةّ ففي "**رواية الوداع الأخير لسمية غربي**" يتخذ الزمن بنيّة معقدة مختلفة عن ما هو متعارف عليه، إذ لا يسير

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص167.

الزمن وفق تسلسل زمنيّ بل يتوزع بين الماضي والحاضر ويتشابك ضمن المفارقات الزمنيّة، أي تكرار لحظات ماضية أو القفز إلى أزمنة مختلفة دون رابط منطقي سواء إلى الوراء أو الأمام، مجسّدا بذلك اغترابا زمنيّا داخل النّص الروائي ينتقل من انقطاع للصّلة بين الذات وواقعها إلى رغبة دفينة في الهروب من حاضر متأزم نحو ماضٍ يمثّل الانتماء، وخوفا من مستقبل يبدو غامضا ومقلقا، وعليه سنحاول تتبع بنية الزمن وما تحمله من استرجاع واستباق ضمن المفارقات الزمنية كعوامل مجسّدة للاغتراب، بغية الكشف عن تجلّياته كما سنوضحه فيما يلي:[1].

أ/الاسترجاع:

برز الاسترجاع كتقنية سرديّة تستخدم لتفكيك الزمن في العصر الحديث والمعاصر خاصة في الرواية، وهو يقوم على استذكار أحداث ماضية ويعرّف على أنّه كلّ استذكار وإحالة لحدث سابق من النقطة الّتي نحن فيها من القصّة[2]، فالاسترجاع هو العودة في السرد إلى حدث سابق وقطع التسلسل الزّمنيّ للأحداث بهدف عرض مشهد أو حدث وقع في الماضي وإدراجه في اللّحظة الزمنيّة الحالية الّتي وصل إليها السَّرد.

كما أن للزمن الحاضر دورا في توظيف تقنية الاسترجاع حيث تعتبر: «اللّحظة الحاضرة من أهمّ محفزات الاسترجاع بما تضمنه من شخوص وأحداث وأمكنة وأشياء تثير ذكريات الماضي، ولعلّ المقارنة بين الماضي والحاضر تدفع الشخصيّة لاستحضار الماضي ورؤيته من منظور زمنيّ جديد»[3]، فالزمن الحاضر الّذي تعيشه الشخصيّة بما فيه من أحداث وشخصّيات وأماكن وحتّى أشياء سواء ماديّة أو معنويّة،

1- ينظر: الفصل الأول الاغتراب الزماني، ص26.

2- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن والشخصية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص121.

3-هنية مشقوق، ملامح الاغتراب الزمني في روايتي: ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي واكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق، مجلة قراءات، العدد 10، 2017، ص196.

يدفعها إلى تذكر الماضي واستذكار أحداث سابقة أو مواقف أو حتى أشخاص وعند تذكر حدث أو شيء من الماضي فإنّها وتلقائيا تقارن بين ما كانت عليه وما هي عليه الآن ما يولد نوع من الوعي لدي الشخصّية، فترى هذا الحدث من منظور زمنيّ جديد ومن خلال خبرتها ووعيها الحالي، وهذا ما ينطبق على ما جاء في رواية "**الوداع الأخير لسمية غربي**"، إذ أن الزمن الحاضر والواقع المؤلم من فقدان للأقارب والأحبة وانقطاع عن الدين وفقدان للتّوازن الداخلي في إطار حالة الاغتراب، هو ما يحفز الذاكرة على استرجاع الماضي والمقارنة بين ما كان عليه من تشبع بالإيمان والحب وبين ما هو عليه الآن من انعزال ووحدة فتبدأ الشخصّية (ورد) تنظر لهذا الماضي من منظور مختلف يعكس وعيها وتطورها النّفسيّ. وهو ما نروم إبرازه في هذا الجزء.

تجلّت ملامح الاغتراب في الرواية من خلال توظيف "**سمية غربي**" لتقنيّة الاسترجاع كما هو موضح في هذا المقطع «في أحد الأيام عندما كنت عائدا من المدرسة على غير عادتي... لأذهب مباشرة إلى بيت جدّي الذي أحببته بوجوده وكرهته بغيابه»[1]، إذ يمثّل استرجاع "**ورد**" للحظة من الماضي وهي لحظة عودته من المدرسة لبيت جدهّ، ليضيف أن هذا البيت أحبّه بوجود جدّه وكرهه بغيابه، فعبّر عن كرهه للبيت بدون جدّه، وبين ما كان عليه البيت بوجود جدهّ وبغيابه، فهذا التحوّل الشعوري لدى "**ورد**" وبعد عجزه عن تقبّل البيت بدون جدّه وأنّه لم يعد يحمل دفئا وانتماء ولم يعد له معنى كما كان من قبل نابع من غياب الشخص الّذي كان يمنحه المعنى والهويّة والانتماء والأمان، "**فورد**" وفي عمق معاناته من الوحدة والاغتراب واللاّ انتماء راح ينبش في ذاكرة الماضي حيث الذكريات الجميلة، ليحاول الهرب من الحاضر إلى زمن الماضي بعدما أصبح الحاضر مصدر ألم له أصبح يحن لماض له فيه ذكريات مع عائلته.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص37.

وهنا متحدثا عن ذكرى وفاة والديه معبّرا عن حنينه وشوقه لهم قائلا: «مرّت ثلاث سنوات على موتكم لكنّي لم أنسكم أنتم أيضا ولا حتى ذكراكم »[1]، مثّل هذا المقطع استرجاعا يعيد "**ورد**" إلى لحظة مؤلمة مرّت عليه وهي فقدان والديه، حيث تبرز استمراريّة الألم والمعاناة وتعذّر تجاوز هذا الشعور والفقد من جهة، ومن جهة أخرى للدلالة على أن "**ورد**" مازال عالقا في تلك اللّحظة وذلك الشعور وعجزه عن تجاوزه، فهذا التّداخل الزّمنيّ يعكس حالة الاغتراب الزّمنيّ كما أن عودته هذه إلى الماضي تكشف عن اضطراب داخلي يعيشه "**ورد**" الّذي لم يجد ملاذا له في هذا الحاضر والواقع، فهذا الاسترجاع لا يمنحه وعيا جديدا إنّما يعمّق شعوره بالاغتراب عن الزمن ومحيطه.

وفي موضع آخر من الرواية صورت "**سمية غربي**" معاناة شخصيتها البطلة "**ورد**" من شعور الاغتراب فجاء على لسان "**ورد**" «ذهب الجميع رويدا رويدا، ولم أبق سوى أنا وجدّي وبعضا من أعمامي معنا ينتظرون مغادرة جدّي»[2]، يسترجع "**ورد**" لحظة تواجده في المقبرة أثناء دفن والديه، حيث غادر الجميع وبقي هو وبعض من أعمامه الّذين كانوا ينتظرون مغادرة جدّه، وهذا الاسترجاع يوحي بأنّه وحيد ولم يعد يشعر بأحد وبقاءه لوحده في مواجهة الفقد والموت، كما أنّ هذه اللّحظة لا تصف لحظة واحدة من الفقد بل تصف سلسلة من الخسارات التّي مرّ بها في تتابع زمني بطيء بقوله "رويدا رويدًا "، فلحظات الفقد هذه والفراق لم تغادره وبقيت عالقة في ذاكرته بل أصبحت هي الذاكرة وبقيت روحه عالقة في تلك اللّحظات.

وظفت "**سمية غربي**" في هذا المقطع من رواية "**الوداع الأخير**" استرجاع آخر جسّد حالة الاغتراب لدى "**ورد**": «استفقت من ذكرياتي الّتي أعادتني لقبل ست سنين كاملة وأدارت عجلة الزمن من جديد لتحيي ما مات بداخلي، وتعطي الحياة للألم ليعود مرّة أخرى ويفترس كل زاوية من أعماقي ويلتهمها دون رحمة أو

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص49.
2- المصدر نفسه، ص102.

شفقة»[1]، يكشف هذا المقطع عن حالة اغتراب يمرّ بها "**ورد**" فهذا الاسترجاع يعيده إلى ماضٍ مؤلم ويوقظ في نفسه مشاعر كان قد تناساها بمرور الزمن، ما يدل على أنّ هذا الماضي ما يزال حيّا بداخله يجعله يحسّ أنّه غريب عن حاضره وعاجز عن تجاوز ماضيه وأنه سجين فيه وأسير له، فهو لا يعيش حاضره بوعي كامل بل يهرب منه إلى ماض مؤلم، وهذا الاسترجاع للماضي لا يأتي على شكل ذكرى عابرة إنما يأتي كقوة تتحكّم فيه وتسيطر عليه وتمنعه من تجاوزه، والتّركيز على الحاضر الّذي يراه متأزما والمستقبل الّذي يبدو له باهتا، فسيطرة الماضي تزداد كلما اشتدّ رفض الذات للواقع، فآلام تجارب الماضي هذه ساهمت في انقطاعه عن الزمن الحالي ما عمق شعوره بالاغتراب، فالاسترجاع هنا ليس مجرد تقنية سرديّة جماليّة فقط، إنما أداة كاشفة عن حالة اغترابيّة حادّة يعاني منها "**ورد**".

أما هنا في هذا المقطع عندما راح يستذكر "**ورد**" لحظة رؤيته "**النور**" تجسدت حالة الاغتراب الزّمنيّ بقوله: «يوم رؤيتي لك يا نور لأوّل مرة في حياتي، كان ذلك اليوم من أجمل الأيام في حياتي، وتلك اللّحظة من أجمل اللّحظات التّي مرّت علي»[2]، مثّل استذكار "**ورد**" للحظة رؤيته "**نور**" لأوّل مرّة لحظة مضيئة وسط الظلام، تعبّر عن افتقاره لوجودها، ممّا جعله يشعر بأنّه منفصل عن هذا الحاضر الّذي لا معنى ولا راحة ولا سعادة فيه ولا اندماج معه، فهو يعيش فقط على طيف ذكرياته التّي تعود به إلى الماضي مع حنينه لهذه اللّحظات المهمّة بالنسبة له، والّتي لم يجد ما يعوضها في حاضره، ما جسّد حالة انفصال نفسيّة وزمنيّة تعكس تجلّيا من تجلّيات الاغتراب.

وفي السياق ذاته نجد هذا المقطع من الرواية الّذي يعكس بوضوح إحساس الاغتراب لدى "**ورد**" حين يقول: «أنهيت الصلاة بعد معاناة طويلة وصعوبة كبيرة، بعد حرب بين ماض مؤلم وحاضر أكثر ألما بين

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص184.

2- المصدر نفسه، ص204.

قلبي وعقلي، وبعد صراع داخلي بسبب ذكرياتي الموجعة التّي لم تأب تركي وشأني»[1]، استرجاع "**ورد**" للذكريات الأليمة والتجارب الموجعة التّي مر بها، فكانت الصلاة بمثابة الباب الّذي أعاده للماضي بذكرياته وجروحه، ومثّل لنا الصّراع الداخليّ الّذي يعاني منه صراع بين عقله وقلبه وهذا الصراع في الحقيقة صراع بين زمنيّن مختلفين صراع قلب متعلق بالماضي وذكرياته وعقل ساع للتمسّك بالحاضر، "**فورد**" يظهر وكأنّه سجين لماضيه الّذي لم يأب تركه وهذا ما يمثّل أحد مظاهر الاغتراب الزّمنيّ.

ب/الاســتبـــاق:

إذا كانت تقنية الاسترجاع تحيلنا إلى أحداث ماضية فإن تقنية الاستباق هي ذكر أحداث تسبق زمن السرد، وهي تحيلنا وتطلعنا بشكل عام على أحداث ستحدث مستقبلا، ويعرّف الاستباق على أنّه «عمليّة سرديّة تتمثّل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا قبل حدوثه، وفي هذا الأسلوب يتابع السارد تسلسل الأحداث ثم يتوقف ليقدم نظرة مستقبلية ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد»[2]، حيث أنّ الاستباق هو أسلوب يستخدمه الراوي أو السارد لكسر تسلسل الزمن إذ يقوم بذكر حدث سيقع مستقبلا أو الإشارة له أي حادث سابق لزمن السرد، حيث يسير زمن السرد بشكل طبيعي ليتوقف فجأة حتّى يقدّم الروائي لمحة أو إشارة لحدث سيحدث لاحقا، ثم يعود إلى زمن السرد الطبيعيّ والتّسلسل الزمني للأحداث، وهذا ما نجده واضح بشكل كبير في مجريات السرد في رواية "**الوداع الأخير لسمية غربي**"، وفي إجابتها عن سؤال حول إذا ما كانت تقصد التّلاعب بالزمن لتجسيد حالة الاغتراب الزّمنيّ قالت: «لم يكن تلاعبي بالزّمن عشوائيا بل كان وسيلتي لتجسّيد شعور الاغتراب الزّمني الّذي يعيشه **ورد**»[3]، وهذا ما نلمسه داخل الرواية إذ نجد

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص106.

2- نور الدين السد، الأسلوبية وتحلّيل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ج2، ط1 ،1997 ،ص176.

3- تمّ التوّاصل مع الروائية سمية غربي عبر فيسبوك بتاريخ 11أفريل 2025، السّاعة22:53.

تلاعبا بالزمن واستباقا للأحداث كتجسيد لتجربة الاغتراب التّي بنيت عليها الرواية، فنجد العديد من الاستباقات في الرواية الّتي سنجمل الحديث عنها فيما يلي:

المقطع الذي تحدث فيه "**ورد**" عن "**تور**" ومعاناتها ووفاتها قائلا:« لم تستسلم وحاربت للنهاية وانتصرت بصعوبة لكنّها في المقابل خسرت نفسها»[1]، يحمل المقطع استباقا ضمنيا حيث أن حدث وفاة زوجته وتفاصيله لم يذكره بشكل صريح ومباشر، إنَّما أوحى له من خلال قوله "خسرت نفسها" فهذا الوصف يحمل دلالات الاغتراب الزّمني كون "ورد" يصف نور وكأنّها أصبحت شيء من الماضي وهو لم يذكر لحظة موتها، ولم يصل لهذا الحدث في زمن السرد فالروائية تنقلنا إلى لحظة ما بعد الفقد دون التوقف عند لحظة الفقد نفسها، ما يعكس حالة الصدمة وعدم التّقبل الّتي يعاني منها "**ورد**" وهذا القفز على لحظة وفاتها يعكس عدم تقبل "**ورد**" للزمن الحقيقي والواقعي (لحظة الوفاة والفقد) والزمن عنده ليس متصلا بل مجزأ، ما يؤكد أن "**ورد**" منفصل عن ماضيه وحاضره الموحش بدونها.

ويظهر في مقطع آخر واصفا رحلة العزاء بالقول: «ذهبنا جميعا من المطار متجهين نحو ولايتكم أين سنقوم بالعزاء والدفن، كنت تتحدرين من ولاية البليدة... »[2]، جسّد هذا الاستباق حالة الاغتراب الزّمنيّ الموجودة في الرواية، فالروائية وعلى لسان الشخصيّة البطلة "**ورد**" ذكرت حدث لاحق وهو "الدفن والعزاء" بعد وفاة "**تور**" دون التطرق لحادثة الوفاة نفسها إذ يكسر هنا تسلسل زمن السرد عبر استخدام تقنية الاستباق وهذا لتكثيف إحساس الاغتراب الزّمنيّ، فالروائية هنا تجاوزت لحظة الوفاة وهي لحظة مهمّة، عبر تهميشها وتعمد تأخير التّطرق لها ، لتكشف دلاليا عن وجود اضطراب وتفكك بين "**ورد**" والزمن، ما يعكس انفصالا في شخصّية "**ورد**" وحالة الاغتراب الزّمنيّ الّتي يعيشها.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص33.

2- المصدر نفسه، ص163.

فالملاحظ هو كثرة توظيف الاسترجاع على حساب الاستباق إذ نجد الاسترجاع بكثرة وفي كثير من المقاطع في الرواية، على عكس الاستباق الذي نجده بنسبة قليلة في الرواية، وهذا الاختلال في التوازن بينهما يكشف عن اضطراب وتفكك زمني يعيشه بطل الرواية "**ورد**" الّذي يعيش حاضره وهو معلّق بالماضي وغير قادر على تجاوزه ،وفي الوقت نفسه يرى المستقبل باهتا مظلما وفارغا ومليئا بالألم.

فكثرة الاسترجاع هنا والعودة إلى الماضي تعكس حالة من عدم التّصالح والتقبّل للحاضر لدى "**ورد**" الّذي يعيش على ذكريات الماضي، ولا يرى أنه ينتمى لهذا الزمن الحالي وبالتالي يلجأ للماضي بحثا عن جذوره وهويته، وكثرة عودة "**ورد**" إلى ذكرياته مع "**نور**" يعكس محاولة منه لتثبيت الزمن في لحظة معيّنة وهي الماضي، أما قلّة الاستباق فهو يحمل أيضا دلالة على انفصال زمني بين "**ورد**" والمستقبل الّذي يرى فيه نفسه دون هويّة ولا انتماء، فالزمن عنده توقف عند لحظة الفقد لحظة فقده لزوجته نور ووفاتها.

4-2 /المكـــان:

يعتبر المكان عنصرا مهمّا في البنيّة السرديَّة للرواية، فأهميته تجاوزت كونه الوعاء الّذي يحتضن مجرى الأحداث إلى كونه يمثّل مجالا للانتماء والأمان والهويّة، ومنه أي اضطراب في العلاقة بين الإنسان والمكان الّذي ينتمي إليه وألف العيش فيه سواء بالرحيل أو النفي يفضي إلى حالة من الاغتراب، حيث يفقد الإنسان من خلالها شعوره بالانتماء والانسجام، وكأنّ الأماكن التّي كان يحسّ بالانتمّاء لها وكانت مألوفة بالنسبة له أصبحت لا تعني له شيئا، وحتىّ الأماكن الجديدة عاجزة عن تعويض هذا الفقد والفراغ، ويعرف الاغتراب المكانيّ بأنّه إحساس بالغربة والضياع والتيه حتى في بيته أو وطنه الّذي ينتمي إليه، وهو أيضا ليس ذلك الانفصال الجسدي عن ذلك المكان بل انفصال روحي يصبح الفرد من خلال هذا الانفصال أسير

أماكن لا يحسّ بأنها تؤويه، وقد تطرقنا إلى موضوع الاغتراب المكاني بشكل مفصّل أكثر في الفصل الأول[1].

فالمكان وفي كثير من النصوص الأدبيّة الحديثة أصبح رمزا للضياع والانفصال وفقدان للهويّة وهذا ما سنلاحظه في رواية "**الوداع الأخير لسمية غربي** "، حيث يعكس المكان لدى "**ورد**" تمزقا في الهويّة وانفصالا مكانيّا يفسّر وجود صراع داخلي عميق، ويظهر الاغتراب المكاني في الرواية من خلال ثنائية المكان والهويّة، فيبرز الأوّل كفضاء للضياع أو الحنين تارّة، واغتراب المكان كفضاء جغرافي تارة أخرى، أما الثّاني: (اغتراب الهويّة) فيظهر كنتيجة حتميّة للشعور المصاحب للاغتراب المكاني، ويتجلى في فقدان الإحساس بالانتماء، وهذا ما قمنا برصده في المقاطع الآتية.

البداية مع وصف "**ورد**" للمنزل الّذي كان يعيش فيه مع زوجته قائلا: «ذكراك موجودة في كلّ زاوية في المنزل حتّى في جدرانه وحيطانه التّي طالما خنقتني وضغطت على أنفاسي وأخرجتني من طوري»[2]، يعكس هذا المقطع بوضوح حالة الاغتراب المكاني إذ أصبح المنزل (مكان مغلق) والمكان الّذي كان يعيش فيه هو وزوجته "**نور**" المتوفية، إلى مكان غريب عنه ولا يتعلّق به ولا يعني له شيء، فهو ربط علاقته بالمكان أي الغرفة "**بنور**" فعند رحيل "**نور**" أصبح دون معنى ودون روح وتحوّل إلى مكان يخنقه لأنّه يذكره بكلّ تفاصيلها من ذكرياته الجميلة معها من فرح وحزن وحب مع ابنتهم، وحتّى جدران المنزل الّتي كانت تحيطه وتحفظ تفاصيل يومه أصبحت تضيّق عليه النفس وأفقدته السيطرة عن ذاته لما تحمله من شحنة سلبية، فبعد أن كان هذا المنزل يحمل شحنة إيجابيّة وينبع بالحياة أصبح دون روح ومصدر للطاقة السلبيّة، وتبيّن من قوله أن المكان لم يعكس فقط حالته العاطفية من حزن وفقدان، بل مثّل حالته بعدم التصالح مع

1- ينظر: الفصل الأول، الاغتراب المكاني، ص29.

2- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص65.

ذاته وتقبله للحقيقة، لأنّه يذكره دائما بطيفها ويمنعه من تجاوز هذا والمضي للوراء وهذا هو ما نعني به الاغتراب المكاني، واغتراب الهويّة أي يصبح المكان مكان للضياع والتيه ويحسّ فيه بعدم الانتماء.

ذكر "**ورد**" في مقطع من الرواية الغرفة الّتي كانت تجمعه بزوجته وهي مكان مغلق إذ قال: « كانت غرفة نومنا أنا وأنت...لم أدخلها ولم أتجرأ لفعل ذلك لمواجهة الماضي الأليم لم أستطع أن أرى شيئا يتعلق بك »[1]، ربط "**ورد**" هنا نفسه "**بنور**" زوجته فقال غرفتنا أنا وأنت وهذا المكان يعكس هويّته المشتركة، وبوفاة زوجته فقد جزء من ذاته وبقوله لم أتجرأ على مواجهة الماضي يكشف أنّه أصبح عاجز عن السيطرة على ذاته، التّي لم تعد تستطيع تحمل المزيد من الألم وهذا العجز مؤشر لتصدع الهويّة، أما الغرفة فكانت بمثابة الذاكرة الموجعة والبوابة الّتي تفتح آلام الماضي وجروحه آلام الفقد والوحدة، فهي ليست مجرد مكان مادي بل أصبحت تحمل شحنة عاطفية قويّة وأصبح دخوله لها يعرضه للألم النّفسيّ، فكأنّه أصبح لا يعرف ذاته في هذه الغرفة ولم تكن تمثّل له يوما الانتماء فقد قطعت كلّ الروابط الّتي تربطه بهذا المكان، وهذا هو جوهر الاغتراب المكاني.

اتضحت صور الاغتراب المكاني في الرواية أيضا في قوله: «ذهبت للبيت الّذي عانيت فيه وتعذبت وانقهرت وتألمت كلّ هذه السنين لأجمع أغراضي وأرحل منه وأغادره للأبد»[2]، يتبيّن من قوله أنّه عاد إلى المكان الّذي كان غريباً فيه، وتحمّل فيه كل أنواع الألم وخاض فيه تجارب قاسية من فقد ووحدة وقهر وإهمال من زوجة جدّه، فقرّر الرحيل للأبد منه ليستعيد نفسه الّتي فقدها فيها ويبني حياة جديدة بعيدا عنه، يذهب إلى مكان ينعم فيه بالراحة والأمان والانتماء.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص70.

2- المصدر نفسه، ص115.

يظهر الاغتراب المكانيّ في مقطع آخر عند قوله «البعد عن الأهل والعائلة والعيش بعيدا عن وطنك وموطنك قاس للغاية وموجع جدّا مقهر وصعب مهما كان الانسان قويا وصلبا، لكن يبقى قلبه معلّقا بأصله وترابه»[1]، يعبّر "**ورد**" في هذا الصدد عن انفصال جسدي عن الوطن والعائلة، وكذا الأثر النّفسيّ العميق الّذي يخلفه هذا الانفصال والاغتراب المكانيّ، فالإنسان بالرغم من ابتعاده عن وطنه إلا أنّه يظل مشدودا إلى جذوره الّتي تمثّل له الانتماء والهويّة، فالاغتراب المكاني يتجلى في شعور "**ورد**" بأنّه يعيش في محيط لا يشبهه بعيد عن أهله وثقافته ومحيطه وأن هذا البعد يحدث داخله شرخا وغالبا ما يؤدي إلى اهتزاز الهويّة، فرغم محاولات التأقلم لم يستطع الانفصال ونسيان وطنه وأصله وهذا التعلّق يعكس صراع الهويّة بين هويّته الأصليّة والهويّة الجديدة التّي لم تمنحه الانتماء.

يتجلى هذا النوع في موضع آخر في الرواية حينما قال: «ذهبت إلى تركيا بعد جهد كبير ومعاناة وحنين واشتياق لعائلتك، وبعد صعوبة في الذهاب والتخلّي عن كل شيء، عن حياتك في الجزائر وأحبائك وأصدقائك وبيتك، لذا صعب عليك المغادرة والهجرة بعيدا وإلى وطن آخر ليس بوطنك، وإلى تراب غريب عليك ليس معتادا عليك ولا أنت معتادة عليه»[2]، يؤكد هذا المقطع بوضوح تجربة الاغتراب المكانيّ التّي يشعر بها المهاجر عن وطنه والتّي جسدتها شخصيّة "**ورد**" في الرواية نظير هجرته من الجزائر إلى تركيا من أجل الدراسة وترك كل شيء خلفه، وهذه المغادرة مصحوبة بفقدان وانفصال عن كلّ ما يشكل هويّته من ذاكرة، وثقافة، وعائلة، فتركيا ورغم ما يجمعها من تشابه دينيّ مع الجزائر إلا أن "**ورد**" بقي يحسّ أنها غريبة لا تحمل نفس الانتماء العميق كانتمائه للجزائر ما يعزز إحساس الانتماء والانفصال.

وفي هذا الموضع أيضا تصوير واضح للاغتراب المكاني من قبل الروائية إذ ورد في الرواية «وصلت للمقبرة ليبدأ قلبي بالخفقان بسرعة كبيرة ويداي ترتجفان كنت في كل خطوة أخطوها أحسّ أن

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص142.
2- المصدر نفسه، ص195.

قدماي تثقلان أكثر»[1]، فوصف "**ورد**" للمشاعر الجسدية والحسيّة (الخفقان، الارتجاف، ثقل الخطى)، التّي أصابته عند ذهابه للمقبرة لزيارة قبر والديه وجدّه يعكس حالة من اللاّنتماء والرَّهبّة والانفصال الذاتي فكأن الجسد يرفض التّقدم والتّكيف معه.

ومن مواطن هذا الاغتراب داخل الرواية لحظة عودة "**ورد**" للحي الّذي أمضى فيه طفولته وهو مكان مفتوح حيث بدت ملامح الاغتراب المكاني بارزة لدى "**ورد**" فقالت "**سمية غربي**" على لسان شخصيّتها البطلة "**ورد**": «وما إن دخلت الحي حتى تساقطت عليّ كتل من الذكريات القديمة والجميلة التّي عشتها هنا وحظيت بها...المكان الذي كان يجلس فيه جدّي مع أصدقائه...فلا جدّي موجود فيه ولا حتى أصدقاؤه»[2]، رسم لنا "**ورد**" صورة يظهر لنا من خلالها الحيّ باعتبارها مكانا وقد تغيّر تماما رغم ثباته الماديّ فـ"**ورد**" قد عاد إلى مكان مألوف بالنسبة له، وله فيه ذكريات لكنّه يحسّ بالاغتراب فيه إذ أصبح فارغا من معانيه، وهذا ما يمثّل الاغتراب المكاني أي يكون الإنسان في مكان يعرفه ولكن لا يحمل له الانتماء، أما اغتراب الهويّة فتجسد في ارتباط هويّته بجدّه وكلّ من يعرفهم في ذلك المكان فهويَّة "**ورد**" تعرضت للاهتزاز جراء هذا التغيّر، والاهتزاز الّذي مسّ هويَّته وأحدث فيها شرخا تمثّل في إحساسه أنّه لم يعد يملك جذورا في هذا المكان.

5/ أدوات تشكّيــل الاغتراب في النّص الروائـــي :

تعد ثيمة الاغتراب من أعقد الثيمات التّي اتخذت منها الرواية المعاصرة موضوعا لها، إذ تتداخل في هذا النوع من الروايات عناصرها الفنيّة وفق ما يخدم بعدها الدلالي، ومن بين الأدوات التّي توظف في هذا الاتجاه نجد وجهة النظر والحبكة السرديّة، حيث أن اختيار زاوية السرد وطريقة ترتيب الأحداث هي أدوات

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص250.
2-المصدر نفسه، ص255/254.

تساهم في بناء المعنى، والطريقة التّي تروى بها الرواية أو القصّة حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى المراد إبرازه، وارتأينا التّطرق إلى الحديث عن هذه الأدوات حتى يتسنى لنا معرفة كيفية مساهمتها في تجسّيد الاغتراب.

5-1 الـراوي ووجهــة النظــر :

تكتسي وجهة النظر دورا مهمّا حيث تعتبر الوسيط الّذي ينقل أحداث الرواية للقارئ من خلال زاوية إدراك معيّنة، كما تسهم بشكل كبير في تعميق وتكثيف شعور الاغتراب عندما يكون السارد ذاتيًا كونه يعاني من هذا الألم، ألم الاغتراب.

ووجهة النظر هذه تتعلق بمن يروي القصة أو الرواية: هل هو ذاتي أم عليم؟، هل هو مشارك أم مراقب؟، هل هو أكبر من الشخصية البطلة أم أصغر منها، أم يساويها؟، وبإسقاط كل هذه التساؤلات على رواية الوداع الأخير للحصول على نظرة متكاملة حول زاوية الرؤية السردية نجد:

تموضع السارد ضمن وعي الشخصية الرئيسية "**ورد**" فأحداث الرواية قدمت لنا وفق وجهة نظر ورؤية داخليّة، والرؤية الداخلية« تتمثل في الروايات المكتوبة بضمير المتكلم والسيرة الذاتية»[1]، والسارد في الرواية جاء في ثوب المشارك والذاتي "**فورد**" راح يسرد لنا معاناته النفسيّة، وينقل لنا أفكاره ومشاعره الأمر الّذي جعلنا كقراء نعيش معه تجربة الاغتراب من الداخل وبشكل أعمق متأثرين بتجربته، وكشاهدين على صراعاته الداخليّة وانكساراته وخيبات الأمل التّي تعرض لها.

كما جعلت وجهة النظر هذه القارئ يلمس ذلك الشرخ ويرى بعمق تلك الفجوة بين "**ورد**" **الشخصية الروائية البطلة** و**الراوي**، عائلته ومجتمعه وعالمه الخارجي، ونجد من الرواية ما يؤكد أن السارد في الرواية

1- نهى عبده يوسف حسن، مصطلح وجهة النظر في المنهج النقدي الحديث، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد الثامن عشر، مصر ، 2024، ص364.

ذاتي ومشارك، وهذا ما يبرزه هذا المقطع: « كم كانت أول ليلة قضيتها في بيت عمي باردة موجعة ومخيفة مرعبة وكئيبة»[1]، فـ"**ورد**" هنا كونه مشارك في السرد عبّر بضمير المتكلّم ما يدل على أنّ السرد يقدم من داخل الشخصية الأمر الّذي يجعلنا نشعر بقرب بعمق مشاعره، فهو لم ينقل لنا هذا الإحساس بالبرودة والوجع في المكان الجديد كحقيقة أو كسرد عادي بل كشعور يصل القارئ، كما يظهر من خلال القول مشاركة الشخصية في السرد كونه هو خاض هذه التجربة الأليمة وأحسّ بألمها النّفسيّ(الرعب والخوف)، والجسدي(البرد) فهذه الألفاظ حملت دلالات الانفصال، عدم الأمان، وشعور اللاّنتماء.

ومن زاوية أخرى متعلقة بالرؤية والتّي صنفها **"جان بويون j.Pouillon"** إلى ثلاثة أنواع« الرؤية من الخلف: الراوي العليم بكل شيء، الرؤية من الخارج الراوي: أقل معرفة من شخوصه، بالرؤية المصاحبة التّي تتساوي فيها معرفة الراوي مع شخوصه »[2]، في هذا الصدد نجد في الرواية أن السارد "**ورد**" غير عليم بكل شيء ومحدود المعرفة يوازي الشخصية "**ورد**" فقط وغير عليم أو متطلّع بشكل عميق على خلفيات الشخصيات الأخرى، ما جعله يكون في موضع يساوي الشخصية البطلة "**ورد**" من حيث المعرفة والتجربة، ومن الرواية نجد هذ المقطع يوضح كيف أن السارد غير عليم بكل شيء وأنه ليس أكبر من الشخصية، إذ جاء في موضع من الرواية وفي الوصية الّتي تركتها **نور** والّتي راحت تعلمه من خلالها بما عانته في صغرها كتبت فيها: «أردت أن تعرف ما أحسست به حزني فرحي وجعي ألمي...أنّ تعرف ما عشته في صغري ومراهقتي وشبابي»[3]، هنا يتبيّن لنا بدّقة كيف أن السارد "**ورد**" ليس عليما بكل شيء، فهنا يظهر أن "**ورد**" لم يكن يعلم معاناتها إلا بعد فوات الأوان فالسارد عليم فقط بمعاناته وما يخصّ ذاته وإن كان يعلم فمعرفته محدودة لمعاناة الغير أو باقي الحوادث التّي تعرضوا لها، والسارد (ورد) هنا يظهر

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص74.
2- نهى عبده يوسف حسن، مصطلح وجهة النظر في المنهج النقدي الحديث، ص370.
3- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص336 /337.

مساو لشخصية الروائية البطلة "**ورد**"، وأقل من شخصية "**نور**"، كما يكرس هذا المقطع الاغتراب عند جهل "**ورد**" لمعاناة "**نور**" الأمر الّذي شكل مصدر اغتراب له فهو كان موجود لكنه لم ير، لم يشعر، لم يفهم ما عمق اغترابه.

ومنه يمكن القول أنّ السارد في رواية "**الوداع الأخير**" هو سارد ذاتي مشارك في الأحداث مساو للشخصية من حيث المعرفة والتجربة، وغير عليم بكل شيء ما ينسجم مع تجربة الاغتراب، التّي تبدو تجربة داخلية وذاتية لـ "**ورد**" كونه لا يصف ويسرد لنا كفرد محايد.

2-5 الحبكـة السرديــة :

تعدّ الحبكة «سياق الأحداث والأعمال وترابطها لتؤدي إلى خاتمة وقد ترتكز الحبكة على تصادم الأهواء والمشاعر أو على أحداث خارجية»[1]، فالحبكة تقوم على صراع داخلي بين المشاعر أو صراع خارجي ناتج عن أحداث خارجية، وفي "**رواية الوداع الأخير لسمية غربي**" جات الحبكة في صورة صراع داخلي لدى شخصية "**ورد**" وما يؤكد هذا من الرواية قوله: «فالعقل والقلب يتصارعان بداخلي»[2]، حيث عبر "**ورد**" من خلال هذا المقطع على أنه يعيش صراع داخلي نفسي ذاتي وهذا الصراع هو ما مثّل حبكة الرواية، ومنه نجد أن الحبكة بنية دلاليّة مساهمة في الكشف عن الحالة النفسية للشّخصّيات، وهي تلعب دور مهما في بناء شعور الاغتراب في الرواية قيد الدراسة وتجسيده خاصة عندما تكون الحبكة غير طبيعية أو غير تقليدية، كما نجدها في رواية "**الوداع الأخير لسمية غربي**" وهذا ما أثار التساؤل في أذهاننا عن نوع الحبكة التّي ميزت الرواية، هل هي حبكة تقليدية أم متقطعة؟

1- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1 ،بيروت، 1984، ص91.
2- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص5.

تميّزت الحبكة في الرواية بنوع من التّفكك والتقطع، إذ لم تأت بطريقة تقليدية ولم تتبع ترتيبا زمنيا ثابتا بل اعتمدت على القفز بين الأزمنة، فالأحداث لم ترو حسب تسلسلها الزّمنيّ الطبيعيّ الأمر الذي ساهم في بناء الاغتراب، وقد تطرقنا إلى كيفية مساهمة تفكك الزمن ومنه ترتيب الأحداث وحضوره كعامل منتج للاغتراب فيما سبق ضمن المفارقات الزمنيّة[1].

كما جاءت الحبكة في الرواية عبارة عن تطور للمشاعر الداخلية والوعي للبطل "**ورد**" وعاكسة لشعوره بفقدان المعنى ومعبرة عن لا جدوى الحياة، إذ أن "**ورد**" يدور في دوامة من الذكريات والتأمل للواقع والحاضر، والندم والخذلان وشعور بتأنيب الضمير والعجز والخيبة وكلّ هذه الأحاسيس المجسدة لشعور الاغتراب داخله كانت تظهر وتختفي عبر مراحل من الرواية، وهذا المقطع من الرواية يعبر عن ذلك إذ جاء في هذا المقطع وعلى لسان "**ورد**" قوله:« كانت عيناي قد تغرغرت بدموع الفرح والسعادة والسرور برؤية جدي بعد غياب طويل، أعاد بثّ الأمل بداخلي» هنا يظهر لنا أن تلك المشاعر المتمثلة في فقدانه المعنى والتيه كانت مسيطرة على ذاته في مراحل فقط، و" ورد" كان يعيش في صراع نفسي مستمر وكما قلنا سابقا الحبكة في الرواية جاءت متمثلة في صراع نفسي داخلي وهذا الظهور والاختفاء لهذا الصراع النفسي أكسب الحبكة سمة التفكك.

فظهور الحبكة بهذا التفكّك والتقطع والاضطراب يتقاطع مع الاضطراب النّفسيّ ويعكس اضطراب الذات والوحدة التّي تعرضت لها الشخصّية البطلة والساردة "**ورد**" التّي ظهرت غارقة في صراعها الداخليّ، مثلا عندما تعرف "**ورد**" على "**نور**" زال إحساس الضياع والتيه إلى حدّ بعيد، والذي ظلّ يلازمه لسنوات ثم عاد وبشكل أعمق ليلازمه بعد وفاتها، فهذه الحبكة الداخلية النفسية التّي تظهر في الرواية متسمة بالتفكك وعدم الانتظام والثبات ودون تصاعد تقليدي وتطور درامي واضح، يؤكد عدم وجود ذروة للحبكة في الرواية،

1- ينظر: الفصل الثاني، الزمن والمكان كعاملين منتجين للاغتراب، ص53.

فهنا لا نجد ذروة واضحة وظاهرة في رواية "**الوداع الأخير**" لكن يمكن اعتبار لحظات الفقد تلك، فقدان **ورد** لوالديه، لجدّه، ولزوجته أنّها قد شكلت نوعا من الذروة لكنها دون حل أو انفراج، فالذروة في الرواية لم تأت في شكل تراكم للأحداث إنمّا ظهرت في شكل تراكم للأحاسيس.

جاءت نهاية الرواية مفتوحة تاركة المجال للتّأويل والتّوقع ودون إغلاق تامّ للحبكة فصحيح لاحظنا انفراج للحبكة نوعا ما بعد تولد وعي جديد لدى السارد "**ورد**" الّذي قرّر مواصلة الحياة وعدم الاستسلام والبحث عن ابنته التّي لم يجدها.

وهذا المقطع من الرواية يؤكد ما قلنا سابقا وأن نهاية الرواية جاءت مفتوحة: «لم أحقق وصيتك الأخيرة فقد بحثت عنها ولم أجدها»[1]، فالمشكل لم يحل جذريا والحبكة لم تنته بشكل نهائي وقوله "لم أحقق وصيتك" هو إقرار من "**ورد**" بالخذلان والفشل وحتى الذنب اتجاه زوجته "**نور**"، أما قوله "لم أجدها" فهو يتحدث عن ابنته وهنا تجسّيد لشعوره بالضياع والتّيه والنّقص دونها بطريقة غير مباشرة، تاركة الروائية سمية غربي باب التوقع مفتوح للقارئ.

5 –3 اللّغـــة والأسلـوب :

تجاوزت وظيفة اللغة دورها النمطي المتمثل في التّواصل والتّعبير بطريقة فنيّة إلى وظيفة أكثر عمق وهي تشكّيل المعنى وبناء الدلالة داخل الخطاب الروائي، إذ لا يمكن فهم المعنى الكامل المراد إيصاله من طرف الروائي إلا بعد تحلّيل البنية اللّغوية للنّص والأسلوب، كونه يمثّل الطريقة التّي اختارها الكاتب في توظيف اللّغة، وفي سياق سعيّنا لإبراز دور اللّغة والأسلوب كأدوات لبناء الاغتراب، قمنا بتحليل اللغة والأسلوب المستعمل من طرف **سمية غربي** في **رواية**" **الوداع الأخير**" وتطرقنا في تحليل لغة الرواية إلى

1– سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص391.

مجموعة من العناصر هي: التكرار والحوار والرمز والإيحاء، وكيف ساهمت هذه العناصر في تثبيت معنى الاغتراب الذي يظهر كثيمة رئيسية بنيت عليها الرواية.

5- 3- 1 التـكـرار :

يعتبر التكرار من الأدوات الفنيّة والجماليّة التّي احتلت مكانة كبيرة في النص الروائي، فلا ينظر إليه كونه حشوا لغويا أو تكرارا بلا جدوى، حيث يستخدم لإبراز جوانب معينة يسعى الكاتب لترسيخها، وجاء المعنى البلاغي للتكرار على أنه: «إعادة اللّفظ لتقرير معناه، ويستحسن في مقام نفي الشك »[1]، أي حسب البلاغيّين تتكرر الجملة أو الكلمة في أكثر من مرة وأكثر من موضع في سياق النّص الواحد، ويكون الغاية من توظيفه تأكيد المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي والقارئ، والغرض منه نفي الشك عن المتلقي وإقناعه وإبعاد التردّد والغموض عنه.

ونظرا لأهميّة التكرار في الرواية كونه عنصر يكشف عن الأبعاد النفسيّة والاجتماعيةّ للشخصّيات الروائية، أصبح التكرار وسيلة لتجسّيد حالة الاغتراب كما يظهر في رواية "**الوداع الأخير**" بشكل لافت يعكس حالة شعورية متكرّرة تعيشها الشخصّية البطلة "**ورد**" وهي حالة الاغتراب، وقد ارتأينا رصد بعض الألفاظ الّتي تكررت بكثرة في الرواية والتي عبرت عن حالة الاغتراب في الجدول الآتي:

الكلمة	**سجين**	خيبة	وحيد	يتيم	الآلام	الوداع	تركتني

1- بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1 ،1981، ص232.

عدد مرات تكرارها	10 مرات	50 مرة	40 مرة	39 مرة	11 مرة	29 مرة	64 مرة

الجدول(1): يوضح عينة من بعض الكلمات وعدد مرات تكرارها في الرواية.

وكون التكرار أداة مهمة في تشكيل الدلالة نلاحظ من خلال الجدول:

تكرار لفظة "**سجين**" بشكل لافت في أكثر من موضع وبعدة صيغ، تقريبا 10 مرات نذكر منها:(سجني، سجنتني، سجنه، سجين...)، حيث جاءت هذه الكلمات حاملة لدلالات قوية تعبّر عن الحالة النفسيّة التّي يعيشها "**ورد**"، وهذا التكرار يعكس عمق عزلته وانفصاله عن العالم الخارجي كمظهر من مظاهر الاغتراب الاجتماعي، كما تعّبر عن إحساسه بأنّه محتجز في واقع وحاضر يخنقه، حيث أن تكراره لهذه الكلمة بصيغ مختلفة له دلالة أيضا فكلمة "سجني" تشير إلى خصوصيّة المعاناة وأن هذا الشعور يحسّ به هو فقط دون غيره ممن يحيطون به، فالسجن لم يوظّف من طرف الروائيّة كونه مكان مادي بل كونه رمز لحالة الاغتراب.

ونجد أيضا لفظة "**خيبة**" تكررت في الرواية 50 مرة تقريبا بصيغ مختلفة:(خيبتي ،الخيبات ،خيبتني ...)، إذ كان "**ورد**" يكررها ويستحضرها في كل مرة يعيش تجربة جديدة من الانكسار العاطفي، يوحي إلى تراكمات داخلية تعبر عن شعور بالإحباط وفقدان للمعنى، إحساسا دائما بالهشاشة والانهزام والفشل والوحدة والعجز وهذا بعد التجارب التّي تعرض لها "**ورد**" من فقد ورفض فأحسّ أن الجميع خذله وتخلى عنه، ومنه تكرار كلمة خيبة باستمرار جاء ليعكس تجارب غير متناهية من الخيبات ما يعبر عن حالة اغترابية عميقة يعاني منها "**ورد**".

كما نلاحظ ورود لفظة "**وحيد**" بصيغ مختلفة 39 مرة تقريبا: (وحيدة، وحيدًا، وحدتي، وحيد، وحدي...)، وأيضا ورود بعض الكلمات التّي تشترك معها في نفس المعنى مثل (دون أحد ،لا أحد يسمعني ،لا أحد يهتم بي) فهذه الكلمات جاءت مؤكدة شعور "**ورد**" العميق أنه وحيد ومنعزل ومعبرة عن انفصاله التام عن نفسه والآخرين الّذين لم يحسو به وبآلامه وهذا هو جوهر الاغتراب النفسي، فتكرار كلمة "وحيد" هي تعبير عن الفراغ والعزلة المستمرة الّتي يعيشها "**ورد**" أما كلمة "**وحدتي**" فهو تضفي على حالة الانفصال هذه طابعًا شخصيًّا كما أن كلمة "**وحدي**" تشير إلى حالة من الانفصال عن المحيط والقطيعة الاجتماعيّة وبهذا يكون تكرار كلمة "**وحدة**" تجسيد لحالة الاغتراب الاجتماعي الّتي تطرحها الرواية.

أما بالنسبة للفظة "**يتيم**" فتكررت في الرواية حوالي39 مرة، لتكشف عن دلالات ومعاني عميقة لفقدان الحماية والدفء والانتماء والحنان بعد فقدان "**ورد**" لوالديه وجده في طفولته، وأيضا هي لفظة كان يسمعها من طرف الآخرين زوجة عمه، وأب زوجته، حتى أصبح لهذه الكلمة صدى وأثر في نفسيّة وشخصيّة **ورد** فهي كلمة جارحة بعثت في "**ورد**" إحساس الضعف والخذلان والنقص التيه والضياع وأيضا احساس باللانتماء لهذا العالم بعد رحيل والديه وعائلته الّذين كانوا بمثابة هويّته، إذ أن هذه الكلمة اصبحت مرآة عاكسة للفراغ الداخلي وتجسد تجسيد دقيق حالة الاغتراب الوجودي التي يعاني منها "**ورد**".

يوضح لنا الجدول تكرار أن لفظة "**الآلام**" أكثر من11 مرة من صيغها الواردة في الرواية: (ألآمي ،ألمي ،الألم ،تألمت...)، حيث جاءت هذه اللفظة كتصوير بالغ القوّة لحالة الاغتراب النفسي، فتكرارها جاء ليؤكد أن احساس الألم ليس مجرد احساس عابر بل احساس مستمر، متجذر، تسعى الروائية تذكير القارئ به، فكل صيغة من هذه الكلمات تسلط الضوء عن زاوية معينة من تجربة الاغتراب فكلمة آلمي تضفي عليها طابع ذاتي أما كلمة آلامي فهي تشير إلى تعدد وتراكم شعور الألم ما يضفي على هذا الألم طابع

الاستمرارية والدوام فورد يتألم من فقدان والديه وجده وزوجته وبعده عن وطنه ما يعكس عمق تجربة الاغتراب وامتدادها لدى "**ورد**".

كما وردت لفظة "**الوداع**" في الرواية 29مرة، ومن الكلمات الّتي جاءت بنفس صيغتها: (ودعتني، وداعكم، وداعك، ودعتك...)، لتحمل دلالات شعوريّة لها علاقة بالاغتراب الوجودي فالوداع لم يرد على أنّه ذلك المعنى المتصل بحالة الانفصال الجسدي، بل يرد على أنه ذلك المعنى المتصل بحالة الانفصال الروحي وانقطاع العلاقة الّتي كانت تمنح الذات شعور بالانتماء والأمان والاستقرار، فشخصية ورد تعيش سلسلة من الوداعات والانفصالات اللامتناهية حيث تحول الوداع إلى طقس دائم في شخصية "**ورد**" وعمق احساسه بالانفصال ومنه عمق شعوره الداخلي بالاغتراب.

ونجد لفظة "**تركتني**" تكررت بصيغ متقاربة ومختلفة إذ تكررت حوالي 64 مرة منها: (تركاني، تركني، تركتها، تركتماني وتركتك...)، وأيضا وردت ألفاظ تشترك معها في نفس المعنى مثل:(هجرتني، تخلت عني، رحلت عني...)، فهذه الألفاظ دلت على عمق الشعور بالوحدة والفقد والانفصال في نفسيّة "**ورد**" الّذي تركه كل من حوله ممّن هم قريبين له، وتكرار هذه الكلمات لا يفهم بوصفه فعل يحيل إلى المغادرة والرحيل بل يترجم احساس عميق لدى "**ورد**" بالوحدة والفقد والخذلان والخيبة من طرف الجميع ومنه مجسدة لحالة الاغتراب الاجتماعي والوجودي.

5-3 -2الحــوار :

يعد الحوار من أبرز التقنيات السرديّة المهمّة في النصّ الروائي، حيث يعد الحوار أداة للكشف عن« أفكار الشخصيات وعواطفها وطبائعها الأساسية، ويسهم في رسم الشخصية لأن الحوار يساعدنا على

معرفة الشخصية في العديد من جوانبها، مثل معرفة ما يدور في داخلها من مشاعر وعواطف وأفكار»[1] ،ومنه نستنتج أن دور الحوار لا يقتصر على نقل الأحداث ومواقف الشخصيات فقط بل أصبح أداة تكشف عن مشاعر الشخصيات وجانبها الفكري وإيديولوجيتها. ومن هذا المنطلق كان للحوار في الرواية قيد الدراسة دور في تجسيّد الأبعاد النفسيّة للشخصيات، وعكس بوضوح الصراعات الداخليّة بين الأفراد وحتّى الّتي تكون داخل الذات نفسها.

ففي رواية "**الوداع الأخير**" يلعب الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي دور مهما في إبراز حالة الاغتراب الّتي تعانيها الشخصية فالحوار الداخلي أظهر الصراع النّفسي والانفصال الذاتي الذي يعاني منه "**ورد**"، في حين أن الحوار الخارجي أظهر الفجوة والبعد والانفصال بين "**ورد**" ومحيطه.

أ/الحوار الخارجي:

جاء تعريف الحوار الخارجي أنّه ذلك الحوار« الذي يدور بين شخصّيتين أو أكثر في إطار مشهدي داخل العمل الأدبيّ بطريقة مباشرة أطلق عليه تسميّة الحوار التناوبي، أي الّذي تتناوب فيه شخصيتان أو أكثر بطريقة مباشرة ذلك أن التناوب هو السمة الإجرائية الظاهرة عليه»[2]، أي بمعنى الكلام الّذي يدور بين الشخصيات بصوت عالٍ ومسموع ومباشر أمام القارئ أو المشاهد، ويسمى تناوبي لأن الشخصيات تتناوب فيه أطراف الكلام وكلّ طرف ينتظر رد الآخر...إذا ما عدنا للرواية قيد الدراسة فنجدها تحمل العديد من الحوارات الّتي كان لها دورا في تجسيد الاغتراب في البناء السردي للرواية نذكر منها:

سؤال ورد لجدته:

1- إياد جوهر عبد الله، البناء الفني في قصص كاظم الأحمدي، دار المعتز للنشر والتوزيع، دط ، 2017، ص169.
2- قيس عمر محمد، البنية الحوارية في النص المسرحي، (ناهض الرمضاني انموذجا)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص40.

« **ورد:** "جدّتي لماذا لم يأت أبي وأمي إلى الآن؟"

جدّته: "لا تقلق يابني هما في الطريق سيصلان بعد قليل.

وأيضا سؤاله لها باستغراب ودهشة: «أين أبي وأمي؟ ألم يأتيا معك؟

أين هما إلى حد الآن ...؟"»[1]، يتجسّد الاغتراب من خلال شعور ورد بالقلق والحيرة بعد تأخرهما عن الوقت الموعود، وأيضا إحساسه بعدم الأمان، والضياع دونهم.

وفي حوار آخر بين **عمّه أحمد وجدّته** عن بقاء **ورد** في البيت:

«جدّته: "عليك أن تأخذه من هنا، لا أريده البقاء عندي أكثر".

العمّ أحمد: "لكن يا أمي تعلمين أنّني لا أود أن يعيش معي ومع عائلتي أيضاً، لا أستطيع أن أصرف عليه".

– "وما العمل الآن؟، ماذا سأفعل به، أليس هناك مكان أبدا."

–"لماذا لا تريدينه يا أمّي؟ فلن يفعل لك شيء ووجوده لا يضرّك»[2]، لم تتقبل جدّته وجوده داخل البيت وطلبت من عمّه "أحمد" أن يأخذه، ليجيبها هو الآخر بالرفض فيحاول إقناعها أن تبقيه عندها لكن دون جدوى، ورد وعند سماعه لهذا النقاش الذي دار بين عمه وجدته يفضل الذهاب مع عمه، ولم يظهر شيئا لكن تلك الكلمات أحدثت شرخا في نفسيّته وجعلته يشعر بالرفض وعدم الأمان والانتماء والوحدة وهذه المشاعر هي بمثابة تصوير دقيق لحالة الاغتراب.

نجد حوار خارجي في الرواية بين "**ورد**" و"**نور**" لحظة اعترافه لها بحبّه

1– سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص26.

2– المصدر نفسه، ص43.

«**نور**:" تفضل يا ورد، ماذا تريد أن تقول لي؟"

"نظرت لك ولم أستطع الكلام أبدا، جاءت كلماتي متقطعة".

ورد: "_أن...اأ..ح..بّ..كِ يا ن... ور"»[1].

تظهر حالة الاغتراب في هذا الحوار عند تردد "**ورد**" في الاعتراف "**لنور**" بحبه لها، فهذا الحوار الّذي يبدو بسيط ظاهريا يعكس في عمقه صراع نفسي داخلي لدى "**ورد**" وخوف من الرفض، كونه تعرض لعدّة مرّات للرفض ما يبيّن انعدام ثقته في نفسه، أما قوله لم أستطع الكلام هنا يُظهر عجزه وعدم قدرته على السيطرة على نفسه كأنّ أعضاءه منفصلة عنه وجسده غير متصل ولا لا ينتمي لروحه.

وفي حوار آخر بين "**عمّه أحمد**" و"**زوجته**" عند لحظة وصول "**ورد**" إلى بيت عمه، ولم تتقبل زوجة عمه وجوده وطلبت منه أن يرجعه ليخبرها أنّه مجبر على أن يبقيه:

«**زوجة عمّه:** "لماذا أحضرت ذلك اليتيم إلى هنا يا أحمد؟".

العمّ أحمد: "أمي من طلبت مني ذلك وقالت لي بأن آخذه معي"..."»[2].

في هذا المشهد نجد جدّة "**ورد**" ترفض تواجده معها بعد وفاة جده كونه لم يكن حفيدها ووالده ليس ابنها انما ابن زوجها فقط، وطلبت من عمه أحمد أن يأخذه معه ليعيش معه ما عكس هشاشة الروابط الاجتماعية، حيث انتقل "**ورد**" للعيش في بيت عمه لكن سرعان ما واجه رفضا آخر وخيبة أخرى من طرف زوجة عمّه التّي وصفته باليتيم، هذا أحدث انقساما وشرخا في شخصيّة ونفسيّة "**ورد**" وعمق إحساس اللاّنتماء داخله، للعائلة وللمجتمع الّذي يرفضه ويحسّ بنفسه منبوذا فيه، أما بالنسبة لرد عمّه وقوله أنه

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص62 /63.
2- المصدر نفسه، ص 75.

مرغم على إحضاره زاد من عمق شعور الاغتراب لدى "**ورد**" حيث أن بقاءه في بيت عمّه ليس نابعا من محبة أو رغبة في احتضانه ورعايته بل لأنّه أمر الجدّة التّي رفضته، ساهم كل هذا في تعميق شعور الاغتراب عند "ورد" كونه لا يعامل كشخص له قيمة ما جعله يحس بأنه عبئ على العائلة والمجتمع في القوت نفسه.

ب-الحوار الداخلي(المونولوج):

يعرّف الحوار الداخلي على أنّه حديث النّفس، ويوظّف في السرد والنصوص الروائية بصفته « التكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النّفسي للشخصّية، والعمليّات النّفسيّة لديها دون التّكلم بذلك على نحو كليّ أو جزئيّ»[1]، وتعددت تعريفات الحوار الداخلي حيث عبّر عنه بطريقة أخرى مختلفة عن ما سبق وقيل إنّ: «الحوار الداخلي يكون استبطانا للذات ومحاولة لسبر أغوارها من الداخل»[2]، ويفهم ممّا سبق أن الحوار الداخلي هو ذلك النقاش والحوار الّذي يدور بين الشخصية ونفسها، يوظفها القارئ في القصّص بغية التّعرف على أعماق الشخصية، وما يدور بداخلها أي فهم الشخصّية لنفسها وتحليل مشاعرها وأفكارها ليسهم في بناء صورة نفسية واضحة عنها.

ومن بين هذه الحوارات نجد الحوار الداخلي الّذي دار بين "**ورد**" ونفسه فراح يقول« كان هناك نقص كبير شعرت به وفراغ وهو أنتما يا والديّ وأنت يا جدّي كان يجب أن تكونوا حاضرين كي تكتمل الصورة وتصبح كاملة، ولكن للأسف لم ترينِ يا أمي بطقم عرسي ولم تحضر له كما تفعل كل الأمهات...»[3]، يظهر هذا الحوار تعبير "**ورد**" عن شعوره بالفراغ النّفسي الناتج عن فقدانه لوالديه وجدّه أشخاص مثّلوا له

1- روبرت همفرى: تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: الدكتور محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص59.

2- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص59.

3- المصدر نفسه، ص321.

الأمان والحنان والانتماء والهويّة، كما أبرز كيف أن حياته ناقصة دونهم وغير مكتملة خاصة يوم زفافه أين كان يتمنى حضورهم.

وفي السياق ذاته حوار داخلي آخر يخاطب فيه ورد نور ويلومها عن تركها له قائلا: «**ورد:** "لماذا تركتني يا نور، لماذا لم تبقي بجانبي، وتخليتي عني، ماذا سأفعل الآن بدونك، وكيف سأعيش وسأربي ابنتنا كيف ولماذا لماذا؟ ...»[1]. يكشف هذا الحوار عن تشظي شخصية "**ورد**" بعد خسارته آخر من كان يمنحه شعور الانتماء، فقد أحسّ بالوحدة لرحيل زوجته، وأنّ حياته لا معنى لها والّذي يعكسه قوله "ماذا سأفعل بدونك..." يمثّل هذا ذورة شعوره بالضياع والتيه والحيرة من المستقبل، ويكشف عن صراع وتشتّت داخلي فلم يبق له من يخاطبه سوى صوته الداخليّ.

ومن الحوارات الداخلية الموجهة من لـ "**نور**" من قبل "**ورد**" قوله شاكيا ومعاتبا: «عذبوني وجعلوني أهرب بعيدًا عنهم وأعيش في مكان لا يتواجدون فيه ولا يكونون معي فيه...أعاني وأنا لازلت صغيرًا للغاية»[2]. يوضح هذا معاناته من اغتراب اجتماعي وانفصال عن محيطه وعائلته، ليّقرر بعد ذلك الانسحاب جراء فقدانه الإحساس بالانتماء وهذا هو جوهر الاغتراب.

ويحاور "**ورد**" نفسه مرّة أخرى قائلا: «فأيّ نار أطفئ الآن وأيّ لهيب أسعى لإخماده، ذلك الّذي اشتعل داخلي بقوة كبيرة وأبى التوقف ولو للحظات فقط، واستمر حتى أحرق كلّ خليّة من خلايا وجعل عمقي رمادا وبقايا من حطام وأشلاء صغيرة جدا.»[3] يحاول "ورد" من خلال هذه التّساؤلات الكثيرة أن يفهم حجم الصراعات وعمق الألم الذي لازمه منذ الطفولة، فشبّهها بالنار الّتي تأكل كيانه، ما يجعلنا ندرك عمق وشدة الألم النّفسي الذي عانى منه ورد وعمق الانفصال الذاتيّ الّذي سيطر عليه.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص177.
2- المصدر نفسه، ص324.
3- نفسه، ص139.

3-5 -3 الــرموز والإيحــاءات:

يعتبر الرّمز «نوعا من التعبير غير المباشر لا يسمي الشيء باسمه، بل يتجنب فيه الوصف المستقيم المباشر من أجل أن يخفيه أو يظهره بطريقة لافتة»[1]، إذا هو أسلوب يمكن أن ينتهجه الأديب في بناء نصّه مبني على إخفاء المعنى وإظهاره في وقت لاحق بطريقة أخرى.

يضطلع الرمز بوظيفة مفادها الغوص في أعماق الأحداث وإعطائها بعدًا دلالياً وجمالياً، لا نقلها بشكل مباشر وسطحيّ، وذلك عبر تشكّيلها بأسلوب فنيّ يجعل القارئ يتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى الحقيقي فينفتح ذهنه على الكثير من القراءات والتأويلات. بناءً عليه يحضر الرمز والإيحاء بصيغ متعدّدة داخل هذه الرواية، ويساهم باعتباره أداة فنية تجسد دلالة ومعنى الاغتراب، فعلى سبيل المثال نجد هذا المقطع:« كلّ جوارحي وحتّى على جسدي، استولت على آخر نفس لي وعلى ما تبقى لديّ من طاقة وجعلت منّي جثّة بلا روح»[2]، استخدام عبارة "جثّة بلا روح" تصور حالة من الاغتراب الذاتيّ والنّفسي، فالجثّة ترمز للموت والنهاية انتهاء كل شيء بالنسبة له، ولفظة "بلا روح" وردت رمزا للانفصال، انفصال الجسد عن الروح وانعدام الإحساس، فجاءت العبارة تصويرا للحالة الّتّي أصبح عليها "**ورد**" في كونه حيّا لكنّه ميّت داخليّا، موّحية بالانفصال بينه وبين ذاته وواقعه وبوجود معبّرة عن صراع نفسيّ داخليّ متعلّق بالوجود، وهذا التعبير جاء بلغة رمزية مكثّفة حيث الكلمات قليلة والدلالات عميقة والمعاني خفية مشحونة تتقاطع ودلالة الاغتراب.

وكمثال آخر للرمز الموظف في الرواية نجد هذا المقطع «وأنت في أشد حالاتك انكسارا وفي أصعب الظروف وأقسى الأيام، كلمة لا يعرف معناها حقا إلا من جرّبها وشعر بها ومن فقد جناحاه ولم

1- مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، جامعة عين شمس، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص131.

2- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص10.

يستطع التحليق مرة ثانية، من بترت إحدى أعضائه وأصبح ناقصا بدونها وعاجزا وغير مكتمل»[1]. في الفقرة رموز" كالأجنحة المفقودة"، "العضو المبتور"، اللّفظة الأولى ترمز إلى فقدان الوالدين والحنان والأمان والانتماء، وتدل عن العجز واللاّ انتماء مجسدة حالة الاغتراب الوجودي التّي يعاني منها "**ورد**". أمّا اللفظة الثانية" العضو المبتور" فهي تعد من أبرز التعابير في الرواية رمزيّة وعمقا، فعبّر على انّ فقدانه لوالديه شبيه ببتر عضو من أعضائه، ما أدى إلى شعوره الدائم بالنقص والانفصال وفي كونه دون جذور وهويّة ما عمّق من إحساس الاغتراب النفسيّ والوجوديّ الذي يعتريه.

ويظهر الرمز في قوله أيضا: «قلعة قلبي المسجون داخلها والمحكوم عليه بالمؤبد طوال حياته، قلبي الذي قمتِ بتحريره وإخراجه من قوقعته»[2]، جاءت لفظة قلبي المسجون معبّرة عن عمق العزلة النفسيّة والانغلاق على الذات والوحدة، ويوحي هذا الرمز أن "**ورد**" عاجز وغير قادر على التّواصل مع نفسه ومع من حوله إذ أنّ حالات الفقد تلك والخذلان جعلته رهينة وأسيرا لها. وهذا في صميم الاغتراب الذاتيّ والاجتماعيّ للشخصية البطلة. أكدّه أيضا استخدام لفظة "القوقعة". ما جسّد رمزية وإيحائية اللّغم المستخدمة من قبل الروائية.

6/ مظـــاهـر الاغتـــراب :

سجلت ظاهرة الاغتراب حضورا خاصا في الرواية الجزائرية، فاتخذت من معاناة الفرد والمجتمع الجزائري موضوعا لها، جراء ما عاناه على مرّ العقود من صدمات تاريخية عنيفة بدءا بالاستعمار وما تبعه من قهر واضطهاد وظلم، وصولا إلى صراعات الهويّة في مرحلة ما بعد الاستقلال، فكل هذه الظروف ساهمت في جعل ظاهرة الاغتراب موضوعا للرواية الجزائرية المعاصرة.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص75.

2- المصدر نفسه، ص07.

بناء عليه يمكننا أن ندرج الرواية قيد الدراسة ضمن الروايات الجزائرية التّي عالجت موضوع الاغتراب، "**فسمية غربي**" لم تصف شخصية مغتربة عن وطنها فحسب بل تغلغلت في عمق الذات لتظهر المعاناة الداخلية لها، من خيبة وخذلان وحنين، ومن خلال المحادثة الّتي دارت وبيننا وبين "**سمية غربي**" الروائية صاحبة رواية "**الوداع الأخير**" مجيبة عن سؤال مفاده: ما الدافع الّذي جعلك تكتبين هذه الرواية؟، فقالت: «أردت أن أكتب عن الإنسان حين يشعر بالتيه وبالذنب، بالوحدة»[1]، وفي سؤال أخر، هل كان تناول سمية غربي لموضوع الاغتراب نابع من مرورها بتجربة شخصية متعلّقة بالاغتراب؟ أجابت: «لا لم أمر بتجربة تتعلّق بالاغتراب لكنّي أحب كثيرا أن أتقمص حياة الناس وأشعر بهم وأكتب عن معاناتهم»[2]. "**فسمية غربي**" وفقت إلى حد بعيد في تصوير حالة الاغتراب النفسي والاجتماعي التّي يعاني منها "**ورد**" في رواية **الوداع الأخير** وهذا رغم عدم وجود خلفية أو تجربة سابقة للروائية مع هذه الظاهرة لكنها عبرت عن انعكاس لشخصية "ورد" عليها وعلى تجارب شخصية لمستها عن قرب فقالت:« بالنسبة لشخصّية "**ورد**" فهي تعكس تجارب شخصية كثيرة في حياتي من بينها التقرب الى الله والعودة له، فقد كنت قد مررت بتجربة البعد عنه وكذا تجربة التقرب إليه والعودة له»[3]، وهنا أشارت وبشكل غير مباشر لشعور الاغتراب الديني الذي راودها في مرحلة معينة من حياتها، نتيجة الاضطراب الروحي والديني الناتج عن الخلل وللاستقرار في العلاقة الّتي تربطها مع الله وهذا الاضطراب الّذي عانت منه سمية قد عانينا منه جميعا وهو شائع في المجتمع الأمر الّذي جعلها تسلّط الضوء عليه.

ومن خلال تتبع مسار شخصيات الرواية وأحداثها، توضح لنا الاغتراب في العديد من مستوياته وأبعاده منها: النفسي الذاتي، الاجتماعي، الديني كما سنوضحه في هذا الجزء.

1- تم التواصل مع الروائية سمية غربي عبر فيسبوك (محادثة الكترونية)، 21أفريل 2021، الساعة 22:52 .

2- المرجع نفسه.

3- تم التوصل مع الروائية سمية غربي عبر فيسبوك (محادثة الكترونية)، 21أفريل 2021، الساعة 22:52

6-1 الاغتـــراب النفســـيّ الذاتـــيّ :

يرجع « الاغتراب النفسي في أساسه إلى العلاقة المتوترة الّتي تربط الفرد بمجتمعه وتجعله يفقد توازنه النفسي علة وجوده وجوهره، وبذلك يدخل عالم الاغتراب الذي يشل مقدرته على الفعل والتحكم في مجرى الحياة، ويؤدي به إلى الانفصال عن الآخرين والتخلي عن الحياة الاجتماعية»[1] وهذا ينطبق بشكل كبير على حالة الاغتراب الّتي صورتها الروائية "**سمية غربي**" في روايتها من خلال الشخصية البطلة ومعاناتها من الاغتراب النفسي، فاغتراب "**ورد**" هنا مرتبط بالعلاقة المضطربة الّتي تربطه بمحيطه، وللتّعرف أكثر على ماهية الاغتراب النّفسيّ من مختلف وجهات النظر يمكن الاطلاع عليها في الفصل الأول[2].

تجلّت مظاهر الاغتراب النفسي في الرواية عبر مشاعر العجز والضياع الّتي سيطرت على "**ورد**" ويظهر ذلك في قول السارد: «عبد خائف منها مقيّد بسلاسل الخوف وأغلال العجز تلك الّتي سيطرت عليه، وحكمت عليه بالموت وهو على قيد الحياة...لا يستطيع القيام بشيء لا الحركة ولا الصراخ ولا إصدار أيّ صوت حتّى لو طلب النجدة فلن يسمعه أحد ولن تستجيب له سوى الجدران المحيطة به»[3]. فهنا تصوير واضح ومباشر لحالة الاغتراب النفسي فالشخصية البطلة "**ورد**" محاطة بالخوف وعاجزة عن التحّرر، تحسّ بالانعزال التام عن المحيط وبأنّ صوتها غير مسموع، ولا أحد يهتم لمشاعرها ولوجودها.

ويظهر الاغتراب النفسي الذاتي جليّا في قول السارد: «ليلوم نفسه على كلّ شيء على الماضي والحاضر»[4]، يظهر من خلال هذا القول أنّ "**ورد**" يحتقر ذاته فكأنها كيان منفصل عنه، يحملّها مسؤولية

1- أمينة بوعلامات، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية تلمسان، الجزائر، 2010 ، ص45.

2- ينظر: الفصل الأول، الاغتراب النفسي، ص16.

3- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص10.

4- المصدر نفسه، ص11.

ما حدث وهو يحدث وما سيحدث له لاحقا، ويشعرها بالذنب ما يجسّد حالة الاغتراب الذاتي فلا يحس بالانتماء لذاته ويفقد التّواصل معها ويلومها كأنهّا كيان منفصل عنه.

وفي موضع آخر وعلى لسان الشخصية البطلة قال "**ورد**" في إطار حوار داخلي بينه وبين نفسه: «هو مجدّدا لا يزال يلاحقني ويطاردني الى الآن ...هو ذلك الكابوس الذي أراه كلما أغمضت عيناي، والّذي سرق مني النوم والطمأنينة والهدوء والسكينة كذلك زرع داخلي الخوف والرعب، التوتر والقلق »[1]، يوحي هذا أن هناك حالة نفسية أو حادثة مؤلمة أو صدمة تطارد "**ورد**" باستمرار وهي حادثة فقده لجدّه ووالديه، الّتي شكلت له هاجسا وجعلته يعيش في صراع داخلي مع ذاته لم يستطع التخلص منه، كما عبّر عن فقدانه للراحة والهدوء كتأكيد على حالة الاضطراب وفقدان التوازن النّفسيّ وعدم القدرة على العيش بسلام داخلي.

ومن مظاهر الاغتراب أيضا قول "**ورد**" «شعرت بثقل في جسمي عليّ وكأن أحدا قام بإعطاء حقنة تخدير لكل عضو من أعضائي كي لا يصل الألم الى أعضائي وأحسّ به»[2]، جسّد هذا الوصف شعوره بالانفصال الداخلي والعزلة النفسية الّتي يعاني منها كما أن قوله إنّ أحدا قام بإعطاء حقنة لكل عضو من أعضائي، عبّر عن عمق عجزه عن الشعور بالحياة نتيجة صدمة الفقد (والديه) وصدمة الهويّة (رفضه من قبل جدّته).

كما يظهر هنا وبوضوح الاغتراب النفسي في قوله: «مرت ستّ سنوات كاملة إلى الآن ولا زلت غير مستعدا لمواجهة مخاوف ...أحيانا يعيش الإنسان صدمات تجعله حبيس الخوف» [3]،وفي قوله أيضا: «قررت أن أصارحك بعد صراع كبير مع نفسي ونزاع بين عقلي وقلبي ،...كنت مترددا وخائفا وحائرا

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص18.
2- المصدر نفسه، ص28.
3- نفسه، ص33.

ومشتتا وضائعا...»[1]، نستشف من المقطعين أنّ "ورد" لا يزال خائفا من مواجهة الحياة بفعل الصدمة النّفسية الكبيرة الّتي تعرض لها، ما نجم عنه صراع داخلي عميق بين عقله وقلبه، فهو يعيش حالة من الخوف والتردد من الاقتراب للآخرين ما يعكس حالة من الانفصال العاطفي والإحساس بعدم الأمان نتيجة عدم قدرته على التوفيق بين مشاعره وقرار عقله، أي عندما قرّر "**ورد**" مصارحة "**نور**" بحبّه لها عقله لم يسمح له بالاقتراب من أيّ أحد، وكأن اقترابه من الآخرين يفتح جراحا لم تلتئم بعد، وهذا بعد التجربة المريرة والّتي جعلته يعتقد أن الاقتراب من نور ومصارحتها سيؤدي إلى فقدها، كما فقد والديه وجدّه.

تضمنت الرواية اغترابا نفسيا آخر في من خلال قول "**ورد**": «اعتقدت حين سأخرج...ذهبت بقدماي إلى مصيري المحتوم أغرقت نفسي بنفسي وقتلت روحي ...ذهبت أمامي دون أن أستطيع القيام بأي شيء»[2] ، "**فورد**" وعند مغادرته لبيت جدّته إلى منزل عمّه كان كلّه أمل في الخلاص والعوض لكنه سرعان ما انصدم من الواقع وخابت آماله من أوهام كان قد صنعها بنفسه بعدما عانى أكثر في بيت عمّه، فكأنه يلوم نفسه على ما فعله في ذاته ويحملها مسؤولية ما حدث وما يحدث له رغم أنه كان مجبر ولم يكون له خيار آخر، فهو يقول أنه أغرق نفسه بنفسه لا لأنه كان سبب فيما يحدث له، إنّما يلوم نفسه في خداعه لها وإيهامه لها أن حياته عند عمّه ستكون بداية جديدة ونهاية للمآسي فانصدم في الأخير.

كما يتضح البعد النفسي للاغتراب في هذه الجزئية «وتعالت أصواتهما كل هذا بسببي أنا، لأني لا أملك من يرعاني ويعتني بي ولأن أهلي قد ماتوا وتركوني أترامى من مكان لآخر»[3]، أي أن "ورد" يحمل نفسه مسؤوليّة الخلاف الّذي جرى بين عمّه وزوجته ما يكشف عن إحساسه بالذنب رغم أنّ لا ذنب له، فأحسّ أنّه مرفوض ليبدأ برفض نفسه والآخرين، كما أن شعوره بعدم وجود سند له عمق العزلة العاطفيّة

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص55.
2- المصدر نفسه، ص73.
3- نفسه، ص74.

الّتي يعيش فيها، وهو يرى أنّه لا يوجد مكان يحتويه ويلجأ إليه ما يؤكد شعور عدم الاستقرار والانتماء الّذي هو من أشكال الاغتراب.

ويظهر هذا النوع من الاغتراب عندما قال:« لم تكن تطيقني أصلا لا أنا ولا وجودي معها ، ولا كل أمر يتعلّق بي نظروا لكل هذا، لكن لم ينظروا لما بداخلي وما يحمله قلبي من ألم وضغينة ووجع وخيبات أمل عديدة»[1]، يصف "**ورد**" بهذا علاقته مع جدّته الّتي رفضت أن يعيش معها، ما جعله يحسّ أنّه منبوذ ومرفوض وغير مرحب به في أيّ مكان، وعبّر أيضا عن عدم فهمه من طرف الجميع بما فيهم من كان يعتبرهم أهلا له، الّذين لم يفهموه وتجاهلوا ألمه الداخليّ العميق الّذي يعاني منه بفعل تراكم خيبات الأمل، فهو لا يجد في علاقاته من يخفف عنه شعور العزلة ويتعاطف معه.

وتجسدت صورة الاغتراب أيضا في قوله: «أريح ضميري من العذاب وأخفف الألم عنّي وأقتل الندم الّذي بداخلي وأدفن اللّوم»[2]، يحاول "**ورد**" بهذا التّخلص من الصراع النفسي الّذي لازمه، ومن مشاعر اللّوم والندم الّتي تنهش ذاته بعد وفاة زوجته "**نور**"، فهو يحس كأنه كان سببا في وفاتها ويشعر أيضا بالتقصير اتجاهها عندما كانت على قيد الحياة، وهو ينظر إلى الألم الّذي يعيشه على أنّه مستحق، وكأنّه تكفير عن الذنب ويعتبر هذا سلوك اغترابي شائع أي معاقبة الذات على فعل ليس لها ذنب فيه.

ويصرحه باغترابه النفسيّ قائلا: «لأتخبط بيني وبين نفسي»[3]، ما مثّل الاغتراب الذاتي بأعمق معانيه. وأيضا عندما قال: «صعب جدا أن يكون الجسد معك لكن الروح ليست كذلك... فلا فائدة من جسم بلا روح ومن حياة أنت غير موجودة فيها»[4]، يصف بهذا حالة الحزن والوحدة، الفراغ، الضياع، الّتي يعاني

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص77.
2- المصدر نفسه، ص117.
3- نفسه، ص133.
4- نفسه، ص153 /154.

منها والّتي سيطرت عليه فهذا الشعور بانفصال الروح عن الجسد وأنها لا تنتمي له هو ما يمثل الاغتراب الذاتي في أدق معانيه، فوفاة زوجته نور والّذي شكل نقطة تحوّل جذري في حياته عبر عن الانشطار الّذي بينه وبين ذاته وبين روحه وجسده، وبرحيل زوجته أحسّ ورد أن روحه ذهبت معها ولم يبقى سوى الجسد وأن الحياة أصبحت بلا معنى.

يعبر هذا المقطع من الرواية عن حالة الانفصال الذاتي باعتبارها سمة من سمات الاغتراب النفسيّ فيقول: «حبست نفسي وقيدتها بأسلاك حديدية... عاقبت نفسي بنفسي وأسرتها في سجن الألم»[1]، صور هذا المقطع من الرواية شعور "**ورد**" العميق بالذنب المستمر الّذي جعله يعاقب ذاته ويجلدها، حيث يفقد شعوره بالارتباط مع ذاته ويختار عزل نفسه وتقيّيدها في سجن الآلام الّتي عانى منها، ومر بها، والّتي رأى نفسه يستحقها ويستحق هذا الألم بدل أن يتعاطف مع ذاته ويحاول الشفاء، أما عن قوله "عاقبت نفسي بنفسي" فهنا يظهر انفصال داخلي وتصدع العلاقة بين ذاته الواعية وذاته الداخلية وهذا ما يمثل جوهر الاغتراب الذاتي فهذا الصراع النفسي أدّى إلى شعوره أنه لم يعد ينتمي لذاته الداخلية ويرفضها.

ويظهر أيضا في وصف حالته الداخلية بقوله: «داخلي فارغ وعمقي مظلم وروحي ميتة وذابلة لا تعرف طعم الحياة ولا العيش»[2]، هنا تصوير مجازي لحالة الاغتراب الّتي سيطرت على "**ورد**" من فراغ عاطفي روحي وضياع بعد التجربة القاسية الّتي مر بها، والّتي غيّرت حياته وجعلته يائسا من العيش وإكمال حياته.

وفي وصف حالته بعد موت زوجته فيقول: « بفقداني لنور للأبد وذهابها دون عودة لأصبح شخصًا أكثر عدوانية وضعفا، إنسان ضائع وتائه ومجروح أكثر من ذي قبل بكثير»[3]، عبّر هذا الوصف

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص182.
2- المصدر نفسه، ص186.
3- نفسه، ص210.

عن حالة عميقة من الاغتراب النفسي الناتج عن فقدان شخص عزيز، وما تبع ذلك من شعور بالضياع والتيه وعدم القدرة على السيطرة على ذاته ومشاعره، وكأنّ تجربة الفقد هذه جعلت منه شخصا آخر (ما يسمى بالتّنكر للذات)، فهذا الانفصال النفسي والاغتراب تطوّر إلى اغتراب ذاتي فأصبحت ذاته غريبة عنه.

6-2 الاغتــراب الاجتمــاعــي:

يعتبر الاغتراب الاجتماعي «شعورا مرتبطا بحالة الانفصال عن المجتمع، يتمثّل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين والبرود الاجتماعي، أي ضعف الروابط مع الآخرين وقلّة أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الّذي يعيش في ظلّه الإنسان في افتقاد دائم للدفء العاطفي»[1]، فالاغتراب الاجتماعي هو حالة شعورية تصيب الفرد بالعزلة والانفصال عن أفراد المجتمع فعندما يحس أن العلاقات والروابط مع المجتمع ضعيفة حينئذ يكون الاغتراب الاجتماعي، الّذي يحدث غالبا نتيجة تعرض الفرد للرفض الاجتماعي، وهذا ينطبق على حالة الاغتراب الاجتماعي الّتي جسدتها "**رواية الوداع الأخير لسمية غربي**"، حيث أن الشخصية البطلة عانت من مختلف أنواع الاغتراب بما فيها الاغتراب الاجتماعي الناتج عن تعرض "**ورد**" للرفض من طرف الجميع[2].

وتجلّت صور الاغتراب في الرواية في كثير من المقاطع نذكر منها قول "**ورد**" «كل خيّبة أمل ووجع أحسست بهما وحزني وقهري على رحيل أمي وأبي وجدّي كذلك، وانكساري وتحطمّي مرات عدّة، بعد ظلم الحياة لي وقسوتها علي...بعد عيش أسوء أيامي حياتي مع من خلتهم يحبونني ويخافون علي ويحمونني وظننتهم عائلتي الثانية ومأمني ...من سيرعاني»[3]، يبيّن هذا النص شعور "**ورد**" بالعزلة

1- قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد10(01)، 1979، ص33.
2 ينظر: الفصل الأول الاغتراب الاجتماعي، ص19.
3- سمية غربي، الوداع الأخير، ص73/72.

والانفصال عن المجتمع والّلانتماء للبيئة المحيطة به، فهو يصف ظلم الحياة له وقسوتها عليه، وخطفها أقرب الناس إليه أمّه، أبوه وجدّه وحتّى زوجته، فقد عاش حياته عند جدته ثم عند عمّه لكنه لم يشعر بالأمان معهم والانتماء لهم، فكأنه يرى نفسه دخيلا عليهم ولا مكان له بينهم.

ينعكس الاغتراب الاجتماعي في الرواية من خلال هذا القول: «سيذكره الناس والمجتمع كذلك وسينظرون له نظرة مختلفة وبطريقة جارحة، ويحسسونه بأنه منبوذ وغير مرحب به ومرفوض في أي وكل مكان كان كنت غير مرغوب بي كالعادة...كلّهم ينظرون إليّ نظرة شفقة على حالتي...وعلى ضعفي ووحدتي نظرة اشمئزاز، ومن منظري الغريب والمخزي وملابسي القديمة والرثّة»[1]، "**فورد**" عانى من الاغتراب من خلال نظرة الناس الجارحة له وهي نظرة الرفض، وأيضا نظرات الشفقة تلك الّتي كانت تشعره بالنقص والضعف لا بالدعم، كما كان للمظهر الخارجي من ملابس قديمة ورثّة دور في تعميق شعوره بأنّه ضحيّة بلا حقوق ولا كرامة، ليصبح الانخراط الاجتماعي شبه مستحيل، حيث أصبح يعيش في قوقعة تعزله عن المجتمع والمحيط.

وفي عبارة أخرى تظهر عمق الهوة بين "**ورد** ومحيطه، جاء حديث وجهّه "**ورد**" لزوجته: «...تركتني في منتصف الطريق مثلما تركني الجميع»[2]، بدأ "**ورد**" بذكر تجربة الفقد القاسية مع زوجته والّتي تركته في منتصف الطريق، ثم أشار بعد ذلك إلى سلسلة الخيبات الّتي تعرض لها سابقا عندما فقد جدّه الّذي كان يمثّل له الأمان بعد وفاة والديه، فهذه الخيبات المتلاحقة تركت أثرا في نفسه أفقدته الثقة فيمن حوله، وعرقلت محاولات انسجامه واندماجه مع محيطه وجعلته يشعر بالوحدة والانعزال.

1- سمية غربي، الوداع الأخير، ص 75/76.

2- المصدر نفسه، ص77.

كما يظهر أيضا في قوله: «لم يعيشوا ما عشت أنا ويذوقو ما ذقت ... لأنّهم ببساطة بدون إحساس ولا ضمير..»[1]، يصف بهذا شعوره نحو عائلته، الّتي لا تفهم مشاعره ولا تحس بمعاناته وآلامه الّتي مرت عليه، وهو يرى بأن قلوبهم قاسية وأنّهم دون ضمير وإحساس، مما نجم عنه شعورا بالوحدة والانعزال عن كل الناس لعدم وجود من يقدم له الحنان والدفء، ويكون سندا له.

برز هنا هذا النوع من الاغتراب(الاجتماعي) خاصة ما تعلّق بالجانب الأسريّ من خلال احتياج "**ورد**" لأحضان تشعره بالأمان في قوله: «احتجت حقا للعناق ولأن أحسّ بأنّ هناك من هو معي وبقربي ومن يشعرني بالأمان»[2]، عبّر "**ورد**" عن الفراغ العاطفي الّذي يعيشه وأنّه بحاجة للعناق ولمن يسنده ويقف معه ويحس بحالته حالة الوحدة والوحشة والعزلة الاجتماعية، فهو لم يجد الشخص الحقيقي الّذي يشاركه آلامه ومشاعره العميقة، شخص يكون ملجأ له بعد كل هذه الخيبات، خيبات الرفض والفقد، فكأنه بهذا التعبير كلّ ما يريده هو الأمان والاحتواء والخروج من هذه العزلة الاجتماعية.

يذكرنا من جديد بشعور العزلة الذي يختلجه بقوله: «كنت مثل لاجئ بينهم ليس لي قيمة ولا اعتبار ولا وجود، كغريب حلَّ عليهم وفرض وجوده ...كانت لا تحبني بتاتا»[3]، يصف "**ورد**" نفسه بأنه كاللاجئ بينهم الّذي يعيش غريبا في مجتمع ومحيط غير محيطه، فاقدا لأبسط حقوقه الإنسانيّة، حيث يفقد الشخص الانتماء إلى المحيط الّذي يعيش فيه وهذا الاحساس بالاغتراب، ولافتقاده الاحترام في بيت عمّه جراء المعاملة السيئة الّتي كان يعامل بها وهذا في صميم الاغتراب الاجتماعي.

ويبرز هذا الأخير في قوله مصوّرا معاناته: « لم يحبني أحد ويهتم بي ، يضحي من أجلي ويخلص لي، لم يعطيني أحد شيئا دون مقابل ولم أحس بأي شعور جميل أبدا، لم يفكر بي أحد ويتذكرني ولو في

1- سمية غربي، الوداع الأخير، ص78.
2- المصدر نفسه، ص79.
3- نفسه، ص80.

شيء صغير ولم يخف علي شخص على الإطلاق حتى، لم أكن محل تفكير أي شخص وأي أحد سوى والداي»[1]، يجسد قول "**ورد**" هذا حالة الحرمان عاطفي الكبير الّذي جعله يحس بأنه لم يكن موضع حبّ واهتمام لأحد ولو لمرّة واحدة، وأنّه لم يتلق الحب الحقيقي الصادق من طرف الجميع وأنّه كان حبّا مزيفا مقابل شيء معين في إشارة إلى سبب قبول عمّه وزوجته رعايته عندما كان صغيرا وهذا بسبب المال الّذي كانت تعطيه لهما جدّته مقابل رعايته، إذ يرى "**ورد**" بأنّ والديه هما الوحيدين الذين أعطوه الحبّ والاهتمام والخوف عليه بصدق دون مقابل، أما عدم تذكره من طرف الأقارب والناس أو خوفهم عليه يبيّن لنا الانفصال النفسي وانقطاع الروابط الاجتماعية بينه وبين الآخرين وهذا هو ما يمثّل لبّ الاغتراب الاجتماعي.

كما نجد هنا تصوير لحالة لاغتراب الّتي تناولتها الرواية: «تغلق على نفسك بإحكام هذه المرة وتحرص على ألا يقترب منك أحد ... كي لا تتألم أنت أيضا مرّة ثانية لتعيش وحيدا في هذه الحياة»[2]، قرر "**ورد**" بهذا اعتزال النّاس كلياً، فهو لم يعد يريد التعايش مع الآخرين ولا الاقتراب منهم أو إقامة علاقات جديدة بعد كل الصدمات الّتي تلقاها من العالم، فأصبح لا يثق بأحد خوفاً من تجربة ألم جديدة، لذلك وجد أنّ أفضل حلّ واختيار له هو الانعزال والانفصال عن كلّ من حوله بحثا عن الأمان وحماية لنفسه من صدمات أخرى.

نلمس في هذا المقطع صورة عميقة للاغتراب الاجتماعي لخص من خلالها وحدته قائلا: «أتخبّط لوحدي دون أن يشعر بي شخص أو يحسّ بي أو يسمع بي أحد، لأعيش معاناتي بمفردي بيني وبين نفسي فقط»[3]، يصوّر لنا "**ورد**" معاناته من الوحدة والعزلة النفسيّة والاجتماعيّة الّتي جعلته يخبأ آلامه داخله ولا

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص100.
2- المصدر نفسه، صّ124.
3- نفسه، ص135.

يفصحها للآخرين، لأنّه حتّى لو أفصح لهم بهذا فهم لن يفهموه ولن يشعروا به، ويفضل أن يعيش هذه المعاناة لوحده لأنّه ليس هناك من يخففها عنه أو يسانده في غربته.

تتجلى صور الاغتراب الاجتماعي بوضوح في هذين المقطعين حيث يقول:« لم أر أحدا ولم أذهب إلى أي أحد لم أسال عن أي شخص ولا أي إنسان ولم أخرج من قوقعتي»[1] ، وأيضا في قوله: «كنت أرى نفسي فيه نفسي سواء في التفكير أو العزلة والوحدة أو حب الهدوء والجلوس بعيدا عن الناس»[2]، يصف "**ورد**" حالته بعد وفاة زوجته "**ثور**" حيث أصبح في عزلة شديدة، لا يلتقي بالناس ولا يختلط بأحد ولا يبادر في زيارة الآخرين ولا يسأل عن أي شخص ولا يهتم بأحوال غيره، محبوس داخل عالمه الخاص المعزول عن الناس نتيجة صدمة الفقد، وهذا ما يمثّل جوهر الاغتراب الاجتماعي، أي الرغبة في الانعزال والانفصال عن المجتمع.

وهنا أيضا كشف "**ورد**" عن اغترابه الاجتماعي ومعاناته من علاقاته الاجتماعية السابقة فقال: «شعرنا ببعضنا وعرفنا بما يحس كلّ واحد...نرى كلّ أنواع الإهانة والذل والاحتقار من البشر والنّاس»[3]، يظهر هذا المقطع عمق وقوة العلاقة الّتي كانت بين "**ورد**" وزوجته "**ثور**" فهم كانوا قد عاشوا المعاناة نفسها من إهانة واحتقار من طرف العائلة ومن أقرب الناس وأحسّوا الإحساس نفسه، الناتج عن نظرة الآخرين من عدم تقدير واحترام ومعاملة سيئة، فهذا يظهر لنا الجانب المزدوج لكلاّ الشخصيتين من حالة الاغتراب الاجتماعي، وأيضا يظهر لنا إحساس حال المغترب بشخص مغترب آخر يشبهه فتصبح هذه الغربة لكلاّ الطرفين أقلّ قسوة بحيث تفتح لهم مجالا لتكوين علاقات مع أشخاص يشاركونهم المعاناة نفسها.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير ، ص182.

2-المصدر نفسه، ص202.

3- نفسه، ص233.

يبرز الاغتراب أيضا في وصفه يوم تخرجه قائلا: «لم يحضر والدايّ ولا إخوتي ولا أيّ أحد من عائلتي فقط أقارب أبي الذين حضروا رغم أنهم غرباء والأقرباء لقلبي لم يأتوا "[1]، " يتحدث "ورد" عن أسعد يوم في حياته أين يحتاج كلّ الدعم العائلي، لكنّه لم يجد من يسانده ويقف معه حتى عمّه الّذي تربى عنده لم يحضر ولم يشاركه فرحته، وإنمّا فقط أقارب غرباء لا يحملون مشاعر أو قرب حقيقي له ولا يمثّلون له الأمان والانتماء، أحسّ لحظتها بالغربة وكذا الوحدة والعزلة فأحيانا لا يكون الاغتراب عن المحيط وعن البيئة الاجتماعية بل أيضا عن العائلة رغم رابط الدم إلا أنه يحسّ نفسه غريبا بينهم لا ينتمي إليهم. فيستطر قائلا حول هذا الأمر «إلا أنا وحيد بينهم دون وجود شخص معي، لا أهل ولا أقارب ولا أحد من العائلة يحمل دمي هنا موجود...لن يعانقاني مثلما أهل أصدقائي يعانقونهم ...لن يحتفلا معي بهذا اليوم الّذي لم يحضر له هو الآخر كبقية المناسبات والأعياد والأيام»[2]، في هذا القول يعبّر "**ورد**" عن شعوره في حفل التخرج وهو يشاهد أصدقائه يحتفلون مع عائلاتهم وأحبائهم إلاّ هو وحيد لا يجد أقارب له من الدم نفسه يدعمونه ويفرحون معه، حتّى في المناسبات المهمّة في حياته كالأعياد وفي سائر الأيام، في هذا تجسيد قويّ للاغتراب الاجتماعي لـ "**ورد**" بحيث هو مع الناس لكنه يشعر بوحدته وعدم انتمائه لهم.

3-6 الاغتـــراب الـــدّينـــيّ :

يعدّ الاغتراب الدينيّ من أهمّ الأزمات والمشاكل التّي تعاني منها البشرية على مرِّ العصور، حيث أصبح الإنسان بصفة عامّة والمعاصر بصفة خاصّة، منفصلا عن قيم دينه ومؤسّسته الدينية، ويشعر بعدم

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص241.

2- المصدر نفسه، ص232.

وجود علاقة روحية تربطه بهذه القيم والمعتقدات، كون هذه الأخيرة لم تعد تتماشى مع متطلّباته ورغباته الفكريّة والجسديّة، ولا تمثّله.

ويعرّف الاغتراب الدينيّ[1]. «في كافة الأديان على أنّه الانفصال أو التّجنب، وهو انفصال المرء عن الذات الإلّهية والسقوط في الخطيئة»[2]، حيث أن حالة الاغتراب هاته غير مقتصرة على دين دون آخر إنمّا هي ظاهرة شملت الإنسانيّة جمعاء، وتظهر من خلال الابتعاد عن الله والدين وجهل جوهر الوجود، وهذا الابتعاد والانفصال يسقط الإنسان في المعاصي حيث لا ضوابط دينية تحكمه وهذا ما ينطبق نوعا ما على حالة الاغتراب الّتي عانى منها "**ورد**".

وقد توضّحت ملامح الاغتراب في الرواية من خلال تقرب "**ورد**" من الله كونه يمثل مصدر انتماء وأمان وراحة نفسيّة له حيث قال «رفعت يدايّ للسماء ورأسي في الأرض لأدع الله أن يرحمني ويغفر لي خطاياي ويسامحني على ذنوبي ويريَني الطريق الصحيح، ولأشكو له ضعفي وقلّة حيلتي ونفاذ صبري وعجزي وكل شيء، راجياً منه أن يكون معي وبجانبي وأن يردني إليه ردًا جميلا ويهديني للصراط المستقيم »[3]، يظهر من قول "**ورد**" أنه يشعر بالفراغ الروحي والوحدة والعجز وأن لا ملجأ يعود إليه ليشكوا له همّه ويسمعه وينجيه من حالته، فأحس ورد أنه بعيد عن الله وعن الطريق المستقيم فقرر العودة إلى الله بعد أن تاب وندم عن الذنوب والخطايا الّتي فعلها، وارتأى التّقرب لله عن طريق الصلاة والتضرعّ له بالدعاء والمغفرة، بحثا عن السكينة الداخليّة والراحة النفسيّة بعد إدراكه أنّه لن ينجو ولن يشفى من آلامه ولن يتغيّر

1- ينظر: الفصل الأول، الاغتراب الديني، ص23.

2- سمية بن عمارة، منصور بن زاهي: الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنت دراسة ميدانية دراسة ميدانية لعينة من الشباب بمقاهي الأنترنت بولاية ورقلة، دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، عدد10، 2013، ص56.

3- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص106.

حاله إلا بالعودة إلى الله، ففي القول دليل واضح عن الاغتراب الديني الإيجابي لأن الإحساس بالبعد عن الله وأن لا انتماء إلا له هو نوع من الاغتراب الديني، ولدّه الشعور بالاغتراب كونه بعيد عن قيم دينه.

كما تظهر حالة الاغتراب الديني عند "**ورد**" من خلال هذا المقطع: «كبرت وأنا متذبذب بين الثبات والاعوجاج...أصلّي أحيانا وأحيانا أخرى لا...قراءة القرآن مرّات ومرّات لا أقرأ...بين إخلاص وتقصير بين معصية وتوبة أيضا»[1]، إذ أن "**ورد**" يعيش في صراع داخلي بينه وبين نفسه، أحيانا يتقرب إلى الله وأحيانا يميل إلى الابتعاد عنه والوقوع في المعاصي، وكذا التهاون في أداء العبادات اليوميّة وأشار إلى الصلاة، فهو لا يرفض الدين الإسلامي أو لا يؤمن باللّه، ولكنه يحسّ بالتّقصير في أداء العبادات، فهو يحاول جاهدًا الاستقامة والثبات، هذا يبيّن لنا أن "**ورد**" ليس غريبا أو مبتعدا عن كلّ عقيدته الإسلامية إنّما فقط لكونه لا يمارس الدين كما يجب فالاغتراب الديني في هذه الحالة يتمثل في شعور داخلي بالانفصال الجزئي عن الله والدين ويظهر في عدم انتظامه في صلاته وقراءته القرآن بشكل مستمر والعجز عن الالتزام بقيم دينه.

تتجلّى من خلال هذين المقطعين مظاهر الاغتراب الديني في قرب "**ورد**" من الله للخروج من حالة الاغتراب الديني الّتي جعلته فارغا روحيا حيث قال: «تصلح حياتنا ويسكننا السلام الداخليّ...عند الاقتراب من الله تعالى وحبّه والتعلّق به»[2]، وأيضا في السياق نفسه قوله «فبذكر الله سبحانه وتعالى تطمئن القلوب وتهدأ، وتعرف أن الله موجود معها وبجانبها ولن يخذلها »[3]، يظهر من خلال هذين المقطعين أن "**ورد**" بابتعاده عن الله والدين كان يحسّ باللاّ معنى واللاّ انتماء والضياع، فكان يعيش ضمن صراع نفسيّ

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص108.
2- المصدر نفسه، ص168.
3- نفسه، ص187.

مستمر حتّى أدرك أنّ هذا الشعور يزول فقط عند إدراكه أن الطريق الوحيد إلى السلام الداخليّ والطمأنينة هو التّصالح مع الذات والدين.

يتجسد احساس الاغتراب الدينيّ نظير غرق "**ورد**" في المعاصي وفي ملّذات الدنيا وشهواتها فيقول: «أضعنا أنفسنا وتهنا في ملّذات الدنيا وشهواتها ،وعصينا الله كثيرا لتأتي أنت يا نور وتريني كلّ هذا...تذكريني بوجوب عودتي لله مهما كان الثمن وستصبح الذكريات السيئة مجرد ذكريات فقط وسيجبر الله خاطري ويعوضني أكيد فقط يجب علي الاقتراب منه والرجوع إليه»[1]، يوضّح هذا المقطع اعتراف "**ورد**" بتقصيره وغرقه في ملّذات الدنيا وشهواتها أين كان يحس بالتيه والضياع، ولكنه عند تعرفه على زوجته نور أرجعته إلى الطريق الصحيح فأصبح ملتزما في صلاته ويقرأ القرآن (أهدته مصحف)، جعلته يدرك أنّه بالعودة إلى الله والتّقرب منه يجد العوض الحقيقي، ويدرك معنى الحياة والغاية منها ويتخلص من العبثيّة ويجد الأمان الّذي كان يحتاجه، فـ "**نور**" كانت بمثابة النّور الحقيقيّ الّذي بعثه الله إليه ليكون له العوض والسند والمعين الروحي الّذي يخرجه من مستنقع المعاصي ومخلّصه من شعور الاغتراب.

يفصح هنا "**ورد**" أيضا عن ابتعاده عن الله وعن أداء عباداته الأمر الّذي جعله يعاني اغترابا دينيّا قائلا: «أنا لست بملتزم ولا بقريب من الله حتى أنّني لا أصلي فقط في بعض الأوقات وحسب ولا أذكر الله كثيرا ولست متمسّكا بديني وإيماني»[2]، يكشف "**ورد**" في قوله حالة الاغتراب الديني الّتي يعاني منها، والتّي جعلته ضائعا بعيدا عن الله منفصلا عن الدين، فقد اعترف بالخطايا والأخطاء الّتي كانت سببا في تلاشي الرابط الروحي الّذي يربطه بدينه ومنه تعميق اغترابه الديني الّذي يلازمه.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص216.

2- المصدر نفسه، ص217.

وفي مقطع آخر «رجعت لله تعالى وعدت أصلي دون انقطاع أو تأجيل أو تأخير»[1]، يعبّر "**ورد**" في قوله عن تجاوزه لحالة الاغتراب الديني الّتي كانت تسيطر عليه جراء انقطاعه عن أداء الصلاة بشكل يومي، فيظهر من قوله أنّه أصبح منتظما في أداء عباداته كلّ يوم ما يدل على عودته لله واقترابه منه.

1- سمية غربي، رواية الوداع الأخير، ص218.

خاتمة

خـــاتمـــة:

نختم بحثنا الموسوم بـ " **تجلّيات الاغتراب في رواية الوداع الأخير لسمية غربي**" بالقول أنّ هذه الرواية قد نجحت في تصوير ظاهرة الاغتراب بمختلف أبعادها، وقد توصلنا من خلال تتبعنا لهذه الظاهرة إلى جملة من الملاحظات والنتائج النظريّة والتطبيقيّة، الّتي نوجزها فيما يلي:

- ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانيّة لا تستثن زمن أو مجتمع دون آخر، وترتبط في جوهرها بشعور العزلة وفقدان الانسجام مع المحيط، ما يجعل الفرد يتعامل مع العالم ببرودة وبلا مبالاة.
- تكشف الجذور الاجتماعيّة والفلسفيّة والوجوديّة للاغتراب، عن فقدان الإنسان لروابطه بذاته وبالآخرين، وهو ما يغذّي شعورًا عميقا بالوحدة والضياع في عالم يفتقد للمعنى والثّبات.
- ظاهرة الاغتراب في الأدب تعبّر عن توجه فكريّ يهتم بكشف العلاقة بين المبدع وواقعه، حيث يصبح الأدب وسيلة لتصوير الواقع، ولاستكشاف مشاعر الكاتب كونه قد أعاد صياغة نظرته للعالم من خلال تجربته الذاتيّة.
- عبّر الاغتراب على صعيد الأدب العالمي عن فقدان الإنسان للمعنى وشعوره بالضياع وسط صراعاته الوجودية، أما عربيّا فقد ارتبط بمفاهيم من قبيل: الاستعمار والظلم السياسيّ والغربة والنفي والتهجير وطمس الثّقافة، وما يترتب عن هذه الممارسات من محاولات وصراعات لاستعادة الهوية أو البحث في أوطان أخرى عن الانتماء والأمان.
- تبوأت ظاهرة الاغتراب مكانة أساسية في الأدب خصوصاً في الرواية، كونها عبرت بصدق عن مشاعر الإنسان وصراعاته الداخليّة وعلاقته المعقدة مع المجتمع.

بعد هذه الاستنتاجات نسجّل انتقالا إلى جملة من النتائج المتعلّقة بالجزء التطبيقيّ نذكر منها:

- ❖ يعدّ العنوان في النص الأدبي الحديث والمعاصر أكثر من مجرد تسمية أو مدخل للنص، بل هو عتبة نصية بنيويّة تحمل دلالات رمزية توجه القارئ وتغريه في الوقت نفسه. حيث حمل عنوان الرواية "**الوداع الأخير**" دلالة عميقة وإيحائية تختزل معاني الفقد النهائي والموت دون التصريح المباشر به بصيغته المختصرة والموجزة، كما يعكس العنوان نهاية حاسمة لا رجعة فيها، مما يجعله مدخلًا تأويليًا مؤثرًا في نفس القارئ يمهد لمحتوى النص الروائي.
- ❖ اهتمت رواية "**الوداع الأخير**" أولا بوصف الشخصيات ومشاعرها وجعلت وصف الأماكن مرتبطا بدلالتها الرمزية أكثر من تفاصيلها المادية.
- ❖ تأرجحت أحداث الرواية بين الاسترجاع والاستباق فمرة تعود بنا الروائية "سمية غربي" إلى ماضي الشخصيات لتكشف لنا عن جذور معاناتهم المليئة بالفقد والمعاناة ومرةً أخرى تلمح لأحداث مستقبلية تعمق التوتر وهو ما يجسّد بوضوح الاغتراب الزّمنيّ الّذي تعيشه الشخصية البطلة "**ورد**" من ذكريات موجعة، وانتظار مصير محتوم ومجهول.
- ❖ تجسدت حالة الاغتراب المكاني في رواية "**الوداع الأخير**" من خلال شخصية "**ورد**"، حيث يعكس المكان لديه تمزقاً في الهوية وانفصالاً مكانياً، وهو يظهر كفضاء للضياع والحنين، مما يؤكد أن اغتراب الهويّة هو نتيجة حتمية لهذا الفقدان.
- ❖ تظهر رواية "**الوداع الأخير**" كيف تُسهم وجهة النظر والحبكة السرديّة في تجسيد ثيمة الاغتراب، فنلاحظ أن السارد جاء ذاتيًا ومشاركًا في الأحداث، ما أتاح للقارئ الغوص في أعماق المعاناة النفسية للشخصية البطلة "**ورد**"، كما كشفت محدودية معرفة السارد وعدم اطلاعه الكامل على معاناة الآخرين عن فجوة داخلية وخارجية تعمّق شعور الاغتراب، مما يجعل السرد أداة فعالة في نقل تجربة الاغتراب الفرديّ بصدق وعمق.

- ❖ اعتمدت رواية الوداع الأخير حبكة مفككة ونهاية مفتوحة، وهو ما عكس الاضطراب الداخلي لشخصية "ورد" وجسّد شعوره بالضياع والاغتراب، إذ لم تتبع الأحداث ترتيبًا زمنيًا تقليديًا، ولم تُقدَّم نهاية حاسمة، بل تُرك القارئ في حالة من التّرقب والتيه، تمامًا كما هو حال البطل.
- ❖ جاءت اللغة في هذه الرواية تميل إلى التفصيل والإسهاب، ولكنها كثيفة عاطفياً ورمزياً وتحمل دلالة عميقة لمعنى الاغتراب من خلال تصوير تجارب الفقد والوحدة والرفض والألم النفسي باستخدام لغة مشبّعة بالعواطف والاستعارات القويّة.
- ❖ تؤكد رواية "الوداع الأخير" أنّ اللغة والأسلوب ليسا مجرد أدوات للتعبير، بل وسيلتان فعّالتان في بناء دلالة الاغتراب، من خلال توظيف عناصر كالتكرار، والحوار، والرمز، والإيحاء لتعميق هذا الشعور داخل النص.
- ❖ نلاحظ طغيان نوع الاغتراب النفسي على رواية "**الوداع الأخير**" فجاء ليعبّر عن عمق معاناة الشخصّية البطلة "**ورد**" وصراعها مع الفقد والوحدة بعد وفاة جدّه وزوجته ما جعل من الرواية صوتاً للذات الممزقة الباحثة عن الأمان والانتماء.
- ❖ الاغتراب الاجتماعي كان أيضا طاغي هو الآخر بشكل واضح في الرواية تجسد في شخصّية البطل "**ورد**" الّذي عاش عزلة قاسية عن محيطه، وعجزه عن الاندماج في مجتمعه، ممّا عمق غربته وجعله يفقد القدرة على إيجاد معنى للحياة خارج ذكرياته مع نور وجدّه.
- ❖ الاغتراب الديني في الرواية يظهر عند "**ورد**" بشكل عميق ومؤلم، لكنّه لم يكن دائما بل كان مرتبطاً بمراحل في حياته وفي النهاية أصبح الدّين طريقاً لخلاصه وتعافيه.
- ❖ حملت الرواية رسالة إنسانيّة عميقة تؤكد على أهمية الإيمان والصبر كوسيلة للخروج من دائرة الاغتراب النفسيّ والاجتماعيّ، وهو ما بدا واضحاً في نهاية القصة عندما حاول **ورد** أخيرًا مواجهة مصيره وإنقاذ ابنته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصـــــادر والمراجـــــع:

*القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

المصـــــادر:

01 – سمية غربي، رواية الوداع الأخير، كيانك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2023.

02 – عنترة بن شداد: الديوان، تح: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية، القاهرة، دط، دت.

03 – نازك الملائكة، ديوان مأساة الحياة وأغنية الإنسان، دار العودة، دط، القاهرة،1977.

المراجـــــع:

01- أحمد على الفلاحي، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري (دراسة اجتماعيّة نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013.

02- إياد جوهر عبد الله، البناء الفني في قصص كاظم الأحمدي، دار المعتز للنشر والتوزيع، دط، 2017.

03- بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1 ،1981.

04- بشير مفتي، سيرة "طائر الليل" نصوص وشهادات أسئلة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

05- بلقاسم دفة، علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي والملتقى الوطني الأول، السيمياء والنص الأدبي منشورات الجامعة، قسم الأدب العربي، بسكرة، 2000.

06- بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، وزارة الثقافة (إربد – الأردن)، ط1، 2001.

07- حليم بركات، الاغتراب في الثّقافة العربيّة متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

08- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن والشخصّية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990.

09- حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة الجامعة الأردنية، الأردن، ط1، 2001.

10- خير الله عصار، مبادئ علم النفس الاجتماعيّ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

11- سمية بن عمارة، منصور بن زاهي: الشعور بالاغتراب الاجتماعي لدى الشباب مستخدم الأنترنت دراسة ميدانية دراسة ميدانية لعينة من الشباب بمقاهي الأنترنت بولاية ورقلة، دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، عدد10، 2013.

12- صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده، بغداد، العراق، 1990.

13- طارق بن موسى العتيبي، الاغتراب دراسة تأصيليّة علميّة، دار الكتاب الجامعي للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، السعودية،2018.

14- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في العصر الجاهلي منشورات اتحاد كتاب العرب، 1981.

15-عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة في سيكولوجيّة الاغتراب، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 2003.

16- عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالاته، الدار العربية للكتاب، دط، 1988.

17- عبد الوهاب الكيلاني، الموسوعة السّياسيّة، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر،بيروت، دط، دت، الجزء1.

18- عفاف محمد عبد المنعم، الاغتراب النّفسيّ ومظاهره والنظريات المفسّرة، دراسة تطبيقيّة، دار المعرفة الجامعيّة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، الاسكندرية، مصر، ط1، 2008.

19- فيورباخ، أصل الدين، تر: أحمد عبد الحليم عطية، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1991.

20- علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسات نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1997.

21-عيسى بلاطة، بدر شاكر السياب حياته وشعره، دار النهار للنشر، بيروت، دط، دت، بيروت1971.

22- قمرة عبد العالي، الغربة والاغتراب والبحث عن الهوية في رواية "كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس" لواسيني الأعرج، ت ن: جامعة باتنة، ط1، د ت.

23- قيس عمر محمد، البنية الحوارية في النص المسرحي، (ناهض الرمضاني انموذجا)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م.

24- مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، جامعة عين شمس، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت.

25- مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، ط1، باب الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، بيروت، لبنان،1991.

26- محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، ط2، بيروت، 1993.

27- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ج2، ط1 ،1997.

28- وليد شكار النعاس: المكان والزمان في النص الأدبي (الجماليات والرؤيا)، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2017.

الكتب المترجمة:

01- تيليك بول، زعزعة الأساسات، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعيّة لدراسات النّشر والتّوزيع، بيروت، 1995.

02- دنكن ميتشل: معجم علم الاجتماع، تر: إحسان محمد الحسن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1981.

03- روبرت همفرى: تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر: الدكتور محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.

المعاجـــم:

01- أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، معجم لسان العرب (مادة غرب)، المجلد4، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994.

02- أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، مجلد04، البصرة، العراق، 2015.

03- إسماعيل بن حماد الجوهري، معجم الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (مادة غرب)، ج1، دار الملايين للعلم، ط4 ،1990.

04- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1 ،بيروت، 1984، ص91.

05- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح : محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، القاهرة، باب (الميم مع القاف والكاف)، 1938.

06- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (مادة غرب)، القاموس المحيط، المجلد01، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر، دار الحديث، القاهرة مصر2005.

07- لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات، الموسوعة الفلسّفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، ط3، يونيو1981.

المجـــــلاّت:

01- أحمد مشاري العدواني، الاغتراب، مجلة الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد العاشر، العدد الأول،1979.

02- أحمد بدوي، شهادة يوسف إدريس في الفن الروائي من خلال تجاربهم، مجلة فصول، مج2، العدد2، 1982.

03- جديدي زليخة، الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد 8، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، 2012.

04- جدي فاطمة الزهراء، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر الشعراء الرواد أنموذجا، مجلة النّص، المجلد08، العدد: 03، 2021.

05- جمال سنوسي، اغتراب المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة أرخبيل الذباب لبشير مفتي أنموذجا، مجلة اللّغة الوظيفيّة، المجلد :7، العدد1، 2020.

06- صونية حداد، نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الإحياء، العدد الرابع عشر، 2010.

07- عبد القادر شريف بموسى، مصطلح الاغتراب في الأدب والعلوم النفسية والاجتماعية، دراسات أدبية، كلية الآداب واللّغات تلمسان جامعة أبي بكر بلقايد، دت، العدد رقم1.

08- عماد الدين ابراهيم عبد الرزاق، مفهوم الاغتراب عند فلاسفة مدرسة فرانكفورت، مجلة لوغوس، العدد04 /03، 2015.

09- فاطمه جمشيدي، ملامح الاغتراب في شعر "علي فودة" وردود فعله عليها، إضاءات نقديّة (فصليةّ محكّمة)، العدد27، 2017.

10- قيس النوري، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا، مجلة عالم الفكر، المجلد10(01)، 1979.

11- مشقوق هنية، ملامح الاغتراب الزمني في روايتي: ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي واكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق، مجلة قراءات، العدد 10، 2017.

12-نجلاء مصطفى غراب، الهوية والاغتراب بين الفلسّفة والأدب، مجلة كلية الآداب، جامعة بني سويف، العدد68، 2023.

13- نهى عبده يوسف حسن، مصطلح وجهة النظر في المنهج النقدي الحديث، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد الثامن عشر، مصر ، 2024.

الرسائـــــل الجامعيّـــــة:

01- أمينة بوعلامات، الاغتراب في الشعر الجزائري الحديث، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الجزائري الحديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية تلمسان، الجزائر، 2010 .

02- أميرة علي الزهراني، الاغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربيّة، أطروحة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، السعودية، 2005.

03- خالد أحمد حسين القيداني، الاغتراب السياسي وعلاقته بشكل الدولة ونظام الحكم فيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2015_2016، جامعة الجزائر3، كلية العلوم السّياسيّة والعلاقات الدوليّة.

04- عبد الله عبد الله، الاغتراب النّفسيّ وعلاقته بالصّحّة النّفسيّة لدى الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في علم النفس وعلوم التربيّة والأرطوفونيا، جامعة الجزائر، يوسف بن خدة 2008/2007.

الملاحق

الملاحق:

الملحق رقم 01:

نبذة عن الكاتبة:

سمية غربي كاتبة وروائية من الغرب الجزائري ولاية شلف تحديدا من مواليد 2004/02/09 أكملت تعليمها بولايتها ثم درست في مرحلتها الجامعية بالمدرسة العليا للفلاحة سنة2022 بالعاصمة، ثم تخصص حقوق أين لا تزال إلى الآن تواصل دراستها الجامعية تخصص حقوق.

من أهم مؤلفاتها كتاب "ما تكتمه الروح" وهو عبارة عن مجموعة خواطر كتبتها وجمعتها في كتاب واحد ثم بعدها نشرت رواية "الوداع الأخير" الّتي لقيت رواجا إذ انتهت جميع النسخ في أسبوع فقط من نشرها مع دار نشر مصرية، وقد تصدرت في عديد الصحف كجريدة أخبار الوطن العربي وجريدة أنباء مصر وجرائد أخرى، وبعدها نشرت روايتها الأخيرة رواية "كنا على الوعد" سنة 2024، وهي تعتبر مصممة ومدققة لغوية.

الملحق رقم02:

محادثة إلكترونية معا الروائية سمية غربي :

السؤال01: ما الدافع الذي جعلك تكتبين هذه الرواية؟، هل الكاتبة كانت تمر بتجربة شخصية تتعلق بالاغتراب؟

الجواب01: الدافع الذي جعلني أكتب هذه الرواية هو لإيصال رسالة قيمة وعميقة جدا وهي أهمية التقرب إلى الله والعودة له دوما والاحساس باليتامى، وتسليط الضوء عليهم وعلى ما يشعرون به وما يعانونه، فالدافع لم يكن مجرد رغبة في سرد قصة، بل كان حاجة داخلية للتعبير عن مشاعر معقدة نمر بها جميعا، لكننا نادرا ما نفصح عنها أردت أنّ أكتب عن الإنسان حين يشعر بالتيه والضياع بالذنب بالوحدة ،منه شعوره بالاغتراب ذلك الشعور الصامت الّذي يجعلنا غرباء عن

أنفسنا عن الزمن وعن كل ما كنا نظنه مألوفا ،كتبت هذه الرواية لأقول إن البر بعد كل مصيبة ليس ضعف بل نور وأن العودة إلى الله بعد الذنب بداية جديدة، وأنّ من عاش الفقد والاغتراب يمكن أن يجد السلام ، لا حين تتغير الظروف بل حينما يتغير القلب ويؤمن.

لا لم أكن أمر بتجربة تتعلق بالاغتراب لكن أحب كثيرا أن أتقمص حياة الناس وأشعر بهم وبما يعانون والتجارب الّتي يمرّون بها أيضا.

السؤال02:إلى أي مدى تعكس شخصية ورد تجارب شخصية أو مشاعر ذاتية لك؟

الجواب02: بالنسبة لشخصية ورد فهي تعكس تجارب شخصية كثيرة في حياتي من بينها التقرب إلى الله والعودة له فقد كنت قد مررت بتجربة البعد عنه وكذا تجربة التقرب إليه والعودة له وأردت أن أسلطها على الشباب كون الشباب بعيدون كثيرا عن الدين فوضعت مثالا حيا وهو ورد.

السؤال03: هل تركيزك على فكرة الاغتراب كان عن قصد وكفكرة رئيسية أم نشأ تلقائيا من خلال تطور الشخصيات والأحداث؟

الجواب03: لم يكن عن قصد بل تطور مع تطور الأحداث والشخصيات في الرواية كون الأبطال قد اغتربا لبناء مستقبلها والسعي لحياة أفضل بعيدا عن مجتمعهم.

السؤال04: كيف تصفين العلاقة بين الزمن والشخصية البطلة ورد؟.

الجواب04: العلاقة بين ورد والزمن كانت أشبه بصراع مستمر...الزمن سرق منه طفولته وأثقل خطواته بالخذلان، لكنه أيضا كان منحة خفية منحه النضج، والقوة، والقدرة على المواجهة، أي كان الزمن قاسيا لكنه شكله، الزمن لم يكن إطار للأحداث بل كان شريكا في رحلته، مع كل سنة تمضي، وكل انتظار طال كان يبني فيها شخصا مختلفا عما كان عليه قبل.

ورد عاش زمن الألم، زمن الانتظار لكن الزمن نفسه كان دواء بطيئا، لم ينهي وجعه لكنه علمه كيف يتنفس وسط هذا الألم تعلم أن لا شيء يدوم لا الحزن ولا الخذلان فقد بنى الزمن شخصيّته وجعله شخصا آخر من جهة ومن جهة أخرى ترك فيه جروح وآلام لم تشفى ولن تشفى فقد عذبه وآلمه وأفرحه وأسعده.

السؤال05: نلاحظ وجود تلاعب بالزمن، هل كنت تقصدين التلاعب بالزمن لتجسيد الاغتراب الزمني؟

الجواب05: الاغتراب جاء وفق لتطور الأحداث والشخصيات ومن خلال ذلك حدث لم يكن عشوائيا بل كان وسيلتي لتجسيد شعور الاغتراب الزمني الذي يعيشه ورد، كان دائما يشعر بأن الزمن لا يشبهه إما يسبقه أو يتأخر عنه لا ينتمي إلى طفولته ولا يشعر بالراحة في حاضره، ويخاف من مستقبله وهذا التوتر كان مرآة للغربة الداخلية التي يعانيه.

فلم يكن ورد غريب عن العالم فقط، بل غريب عن وقته أيضا، الزمن بالنسبة له لم يكن حاضنا بل كان عبئا، استخدمت التلاعب الزمني لأجسد هذا الشعور العميق بالانتماء وكذا هو البعد عن الماضي وعن كل شيء يمكن أن يذكره بجروحه وآلامه وكل ما مر به فكان أول حل يراه أن يسافر لأي بلد كان المهم أن يخرج من المستنقع الذي كان فيه إلى مكان أفضل ويجد أناسا مثله يشبهونه ويشبههم.

السؤال06: كيف ترين علاقة شخصية ورد بالزمن، هل هي متشظية للماضي أو تعيش في صراع مع الحاضر أو تخشى المستقبل؟، وكيف ذلك؟

الجواب06: علاقة شخصية ورد بالزمن هي في صراع دائم مع حاضره وخصوصا ماضيه أكثر خوفا من المستقبل والمجهول خاصة كونه فقد أناسا أعزاءا عليه فبدأ يخشى ما ينتظره في المستقبل وأصبح لا يحب الغد مطلقا ويخشاه كثيرا ،وكذا علاقته السيئة بالماضي الذي هو كابوس بالنسبة له ومع مرر الوقت أصبح أسوء بكثير من ذي قبل فهو أسود في نظره يرتعب من تذكره أحيان ،ويتمنى في نفس الوقت أن تزوره بعض من الذكريات كي لا ينسى أحبابه الذين صنعوا مواقف جميلة لا يمكن نسيانها فكيف له أن يتخطاه أو وأن يحذفه من حياته وهو حياته بأكملها وكيف له أن يتذكره ويتذكر ألمه وكل جرح عاشه فهو هنا بين نارين وصراع كبير بين ماضيه وحاضره الذي لا يعرف كيف يعيشه ومستقبله الّذي يخشى قدومه.

السؤال07: هل ترين أن الاغتراب في الرواية ناتج عن مشاعر داخلية(نفسية) أم خارجية(اجتماعية)؟

الجواب07: أجل أكيد الاغتراب هنا جاء نتيجة مشاعر داخلية حبيسة للبطل كونه أراد التخلص من الحياة التي يعيشها أو بالأحرى بناء حياة أفضل في مكان آخر، وأيضا كان الاغتراب نتيجة مشاعر ومشاكل وعقد اجتماعية والأزمات والصدمات الّتي مر بها وجعلته يفكر في الذهاب بعيدا كي ينسى ويتشافى وبالأخص كون الناس يدعونه باليتيم ونظرة المجتمع له جعلته يهرب بعيدا عنهم ويعيش في مكان آخر يمكن أن يتقبله الناس فيه ويحترمونه ويعيش بسلام.

السؤال08:هل هناك انعكاس للمجتمع في اغتراب شخصية ورد؟

الجواب08: نعم، شخصية ورد هي انعكاس حقيقي للمجتمع فورد لم يولد محطما لكن نظرة المجتمع له كيتيم ونبذه وتعاملهم معه كأنه ناقص أو عبئ عليهم، هي الّتي صنعت داخله كل هذا الألم والمجتمع لم يحتضنه بل زاده، وهذا ما جعله يتألم ويتعذب رغم براءته، فكل جرح في قلب ورد كان نتيجة كلمة أو نظرة أو موقف تعرض له في محيطه، ورد لميكن يتيم من والدين بل كان يتيم من الحنان والقبول المجتمعي، ومعاناته لم تكن فقط نتيجة الفقد بل نتيجة مجتمع لا يرحم الضعيف لذا نعم المجتمع كان مرآة لآلامه بل وشريكا فيه.

السؤال09:هل سبق وأن تلقيت تعليقات من قراء شعروا بأن الرواية لامست مشاعر اغتراب مروا بها ؟

الجواب09:أجل تلقيت الكثير من التعليقات فالعديد من الناس لامستهم كونهم قد اغتربوا لأسباب مشابهة وليجدوا بعدها أنفسهم وذواتهم التي أضاعوها دون شعورهم في مكان لا ينتمون إليه.

السؤال10: ماهي الرسالة التي أردت تمريرها من خلال الرواية؟

الجواب10:الرسالة هي التعبير عن مشاعر يعيشها الكثيرون في صمت: التيه، الوحدة والذنب، أردت أن أضيئ على معاناة اليتيم وأشعر القارئ بما يشعر به اليتيم من، أما الرسالة الأعمق فهي التقرب من الله لا خيارا نلجأ إليه فقط وقت الأزمات بل كملجأ دائم ومصدر للطمأنينة، كتبت هذه الرواية لأقول إن الصبر ليس ضعفا وأن الرجوع الى الله بعد الذنب ليس النهاية بل بداية جديدة لقلب جديد يرى النور في وسط العتمة ويجد السلام لا حين تتغير ظروف الحياة بل حين يتغير الداخل ويومن.

الفهرس

الفهرس

المقدمة .....أ

الفصل الأول: الاغتراب من منظور لغويّ واصطلاحيّ: تأصيل نظريّ. 6

أولا: تعريف الاغتراب: 6

1 /لغة: 6

2/ اصطلاحا:..... 9

ثانيا: أنواع الاغتراب: 16

1/ الاغتراب النّفسيّ:.....16

2/ الاغتراب الاجتماعيّ:.....19

3/الاغتراب السّياسيّ: 21

4 /الاغتراب الدّينيّ : 23

5/الاغتراب الزّمنيّ :.....26

6/الاغتراب المكاني:.....29

رابعا: الاغتراب في الأدب: 32

أ/في الشعر: 32

ب/في القصّة: 35

ت/في الرواية:.....36

خامسا: الاغتراب في الرواية العربية المعاصرة:.....37

الفصل الثاني: تجليات الاغتراب في رواية الوداع الأخير لسمية غربي 6

1/ ملخص الروايـة : 43

2/العنوان كعتبة نصّيـة ودلالـة بنيويّـة : 45

2-1 العنوان في إحالة على ذاته : 46

2-2 العنوان في إحالته على متن الروايـة: 47

3/تحليل الشخصّيـات الرّئيسيّــة وعلاقتها بالاغتراب :.....48

3-1 شخـصّيــة ورد :.....49

3-2 شخصيّـة نور: 51

4/ الزّمن والمكــان كعاملين منتجيـن للشّعور بالاغتــراب : 52

4-1 الـزّمــن : 52

4-2 /المكــان: 59

5/ أدوات تشكّيــل الاغتراب في النّص الروائــي : 63

5-1 الـراوي ووجهــة النظـر :.....64

5-2 الحبكـة السرديــة :.....66

5 -3 اللّغــة والأسلـوب : 68

6/ مظــاهـر الاغتــراب : 79

6-1 الاغتــراب النفســيّ الذاتــيّ :.....81

6-2 الاغتــراب الاجتمــاعــي:.....86

6-3 الاغتــراب الــدّينــيّ : 91

خــاتمــة:.....102

قائمة المصــادر والمراجــع: 106

.....106

الملاحق: 114

الملحق رقم 01 114

الفهرس 119